الرابطة

السنة 58 العدد: 671 ذو الحجة 1443 هـ . أغسطس 2022 م

* د. العيسى: الباعث الديني المجرد من أقوى محفزات العمل الإنساني وأكثرها حيويةً واستدامةً
* الانطلاقة الأولى للنُّسخ المتجولة حول العالم لمتاحف السيرة النبوية

ترحيب عالمي بعودة موسم الحج إلى طبيعته

شهرية . علمية . ثقافية . تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة 58 العدد: 671 ذو الحجة 1443 هـ . أغسطس 2022 م

عودة مناسك الحج إلى طبيعتها بعد الجائحة

بعد عامين من الجائحة، تتهيأ الأسباب ـ بفضل من الله ـ ثم بجهود حكومة خادم الحرمين الشريفين لعودة مناسك الحج إلى طبيعتها بعد جائحة كورونا.

وقد شهد موسم الحج في العام الأول للجائحة ١٤٤١هـ مشاركة بضعة آلاف، ليرتفع العدد قليلا في العام التالي إلى ٦٠ ألف مواطن ومقيم في المملكة جرى تطعيمهم بالكامل.

ولم تتوقف إقامة الشعيرة مع الظروف القاهرة للجائحة، خلال هذين العامين، بل ظل الحرص على قيامها، فكان القرار بأن يكون بعدد محدود جداً من داخل المملكة حفاظاً على صحة الحجاج وسلامتهم.

وفي هذا العام استبشر المسلمون في العالم بإعلان المملكة العربية السعودية السماح لما يصل إلى مليون شخص بأداء مناسك الحج من داخل المملكة وخارجها.

فها هي شوارع العاصمة المقدسة تعود لتمتلئ من جديد بمئات الآلاف من الحجاج بملابس الإحرام البيضاء مع الاستعداد لأداء مناسك الحج.

ويعود حُجّاج بيت الله ووفود الرحمن، بكل شوق وشغَف للرحاب الطاهرة، يقفون بالمشاعر بقلوب خاشعة، وأعين دامعة، وألسِنة ذاكرة، ويعيشون في رَوحانية وطمأنينة وأمان بجوار بيت الله الحرام، حيث تتنزّل الرحمَات، وتُسكب العَبرات، وتُغفر الزلات، وتُقال العثرات، وتُرفع الدرجات، وتكفّر السيئات، ويجود ربّ البريات.

يستقبل الحجاج موسمهم الناجح بإذن الله ثم يرجعون إلى ديارهم وأوطانهم- إن شاء الله تعالى- حامدين تائبين مستغفرين ذاكرين، مغفورة ذنوبهم، طاهرة قلوبهم، صافية نفوسهم، وقد استقامت أحوالهم، وتحققت أمنياتهم وآمالهم، وشُحذت هممهم وعزائمهم، متطلّعين لبشارة نبيّهم صلى الله عليه وسلم حين قال: "مَن حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يَفسق رجع كيوم ولدته أمّه"، وأكده بقوله: "الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة".

اللهم تقبّل من ضيوفك الكرام قدومهم للبقاع الطاهرة، واجْعل يا ربّ حجّهم مبرورا، وسعيهم مشكورا، وذنبهم مغفورا، وعملهم مأجورا، وأعِدْهم إلى بلادهم سالمين غانمين.

وسدد اللهمّ خطى حكومة المملكة العربية السعودية بقيادتها الحكيمة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود وسُمُوّ وليّ عهده الأمين على ما يقدمونه من خدمات جليلة للحُجاج والمعتمرين، وتوفير سبل الراحة والأمن لهم، واحْفظ اللهمّ هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين.

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

وكيل الاتصال المؤسسي

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

المدير العام للتحرير والنشر

أ. شاكر بن صلاح العدواني

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

المستشار الإعلامي

د. أحمد بن حمد جيلان

مدير التحرير

عبدالله باموسى

المراسلات:

مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني:

mwljournal@themwl.org

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

د. العيسى: الباعث الديني المجرد من أقوى محفزات العمل الإنساني وأكثرها حيوية واستدامة

4

د.العيسى يعلن الانطلاقة الأولى للنُّسخ المتجولة حول العالم لمتاحف السيرة النبوية

12

د. القصبي يزور المتحف الدولي للسيرة النبوية

18

العدد: ٦٧١
ذو الحجة ١٤٤٣ هـ - أغسطس ٢٠٢٢ م

الرابطة تشارك في مؤتمر أوزبكستان

شاركت رابطة العالم الإسلامي في مؤتمر أوزبكستان الدولي، ومثلها فيه الدكتور عبد العزيز بن أحمد السرحان، المستشار الخاص والمشرف العام على مكاتب ومراكز الرابطة في أوروبا والأمريكتين.

وافتتح المؤتمر الاثنين ١٦ مايو في مدينة طشقند، بحضور ممثلي عدد من الدول من جميع أنحاء العالم، وشملت الجلسات ثلاث مدن أوزبكية، وهي: طشقند وسمرقند وبخارى.

وفي كلمته أمام المؤتمر ألقى الدكتور السرحان الضوء على وثيقة مكة المكرمة.

ترحيب عالمي بعودة موسم الحج إلى طبيعته
31

مشاهد إيمانية في رحلة الحج
35

انعكاسٌ واضحٌ لقوة «الدبلوماسية الدينية»

د. العيسى: الباعث الديني المجرد من أقوى محفزات العمل الإنساني وأكثرها حيويةً واستدامةً

جنيف:

في انعكاسٍ واضحٍ لقوة "الدبلوماسية الدينية"، وأهمية تقديمها وتأثيرها في مناقشات كافة القضايا العالمية، حلَّ معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، ضيفَ شرفٍ رئيسٍ على الملتقى رفيع المستوى، الذي جمع رؤساء كبرى المنظمات الدولية والأممية الفاعلة في مجال العمل الإنساني -للمرة الأولى في تاريخها-، بهدف تنسيق الاستجابة للتحوُّلات العالمية المتسارعة، وتداعياتها الإنسانية المستجدة، وصياغة رؤيةٍ تكاملية للتعاون بين الكيانات الفاعلة في ميدان العمل الإنساني حول العالم.

وانطلقت أعمال الملتقى، الذي استضافته مدينة

الدكتور تيدروس أدهانوم غيبريسوس

السيدة كيلي كليمنتس

جنيف، تحت عنوان: "التعاون بين المنظمات الدولية في المجالات الإنسانية"، وضمَّ إلى جانب رابطة العالم الإسلامي ومجلس الكنائس العالمي، كلًّا من: منظمة الصحة العالمية، ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، ومنظمة "اليونيسف"، والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، وبرنامج الأغذية العالمي، ونخبةً من أبرز القيادات الدولية المؤثرة في مجالات العمل الإنساني.

وبدأ الملتقى بكلمة ترحيبية ألقاها مؤسس ورئيس مؤسسة الحوار من أجل السلام، متمنياً أن يخرج الملتقى بتعاون بناء من أجل الوصول إلى هدفه وهو العمل الإنساني الدولي، الذي يمكن أن يساهم في إحلال السلام في العالم.

تلا ذلك كلمة ضيف الشرف التي اُفتتحت بها

"رابطة العالم الإسلامي ضيف شرف الملتقى الأول لرؤساء المنظمات الأممية الفاعلة في العمل الإنساني

أعمال الملتقى، والتي أكد فيها معالي الدكتور العيسى أن وحدة الأصل والمشتركات الإنسانية الكثيرة، تحتم علينا النظر إلى بعضنا كإخوة، وتحقيق معنى هذه الأخوة من خلال التعاطف مع بعض بالقول والعمل.

وأعرب معاليه عن التقدير الكبير للجهد الإنساني المتميز الذي تقوم به منظمة الصحة العالمية في سياق المعاناة العالمية لكوفيد ١٩، بقيادة مديرها العام الدكتور تيدروس أدهانوم غيبريسوس، ولبقية

د.العيسى يعلن عن إطلاق جائزة عالمية لمكافأة أهم الجهود في خدمة الأعمال الإنسانية

المنظمات والمؤسسات الدولية الحكومية وغير الحكومية التي تقوم بأعمال إنسانية رائدة، لكنه أبدى في الوقت ذاته أسفه "أن العمل الإنساني لم يصل إلى مستوى التضامن والتعاطف المطلوب، ولا تزال الفجوة واسعة بين الأغنياء والفقراء، على الرغم من وجود منظومة دولية واحدة".

وقال الدكتور العيسى مستطرداً: "لن نعترض على وجود أغنياء وفقراء فهذه طبيعة الحياة، لكننا ندعو الأغنياء إلى التخفيف من معاناة الفقراء بدعمهم، وبخاصةٍ في ضروريات الحياة من الغذاء والدواء والتعليم"، مضيفا أنه "من المؤلم على سبيل المثال أن يحصُل الأغنياء على لقاح كوفيد ١٩ بينما لا يحصل عليه الفقراء أو لا يحصلون عليه إلا متأخرين أو على بعض الجرعات. نعم من حق الكيانات الغنية أن تبدأ بنفسها، لكن لا تَنْسَى غيرها"!

وتطرق معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في كلمته إلى دوافع الأعمال الإنسانية، موضحاً أنها متعددة، فمنها الإنساني المجرد، أو المدفوع بالالتزام الدولي، ومنها أسباب مادية لا علاقة لها بالقِيم، وإنما بالمصالح، لكنها تَصُبُّ جميعاً في مصلحة المحتاجين والمعدومين حول العالم.

وتابع معاليه: هناك أيضاً سبب آخر يدفع بل ويحفز بشكل كبير نحو الأعمال الإنسانية وهو الجانب الديني، معتبراً الباعث الديني المجرد من

أقــوى محفزات العمل الإنســاني وأكثرها حيويةً واســتدامةً، وقال إنه دافع إيماني يرتبط بالسماء، "وكل مــا يرتبط بالخالق ســبحانه له حَبْلٌ قوي لا يتأثر بأي طارئ ولا ينقطع".

وأضاف: "لهذا فإننا نؤمــن أن الأعمال التطوعية مِــن أقوى دعائم عمل المنظمات الإنســانية حول العالم، ومن أهمها ما كان منطلقاً من دافع ديني يرتبط بالخالق جلَّ وعلا. فالمشاعر الدينية الصادقة والمجردة تُضمد الجراح وتروي الظمأ وتُطعم الجوعى وتُعَلِّم وتُدرِّب وتكفل الأيتام والأرامل".

واستدرك الدكتور العيسى: "لكن من المهم للغاية أن تكــون أعمــالاً دينية مجردة غير مشــروطة"، مؤكداً أن أي مقايضة دينية أو سياســية أو غيرها على العمل الإنســاني، ســواء كانت مباشرة أو غير مباشــرة، هي تشــويه للوجه الجميل للعمل

مدير منظمة الصحة العالمية يدعو إلى دعم العاملين في القطاع الطبي بشكل عاجل وفعّال

الإنساني بابتزاز لا يعرف للقيم الإنسانية والدينية أي معنى ولا قيمة.

ونوَّه إلى أهمية صناعة الإنســان ليكون إنســاناً بحق، يتعاطف مع أخيه الإنســان من دون النظر لأي اعتبار آخــر، مؤكداً أن "هذا لــن يكون إلا من خلال التكوين الأخلاقي السليم لأطفالنا وشبابنا على هذه القِيم العليا، وهي مسؤولية مشتركة بين الأســرة والتعليم والبيئــة المحيطة بنا والمؤثرة علينا".

مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين: أزمة النازحين في العالم ضخمةٌ إلى حدٍّ لا يمكن معه لأيِّ منظمةٍ أن تعالجها بمفردها

وأضاف: "لا أنسى أن أشير إلى أهمية أن يكون للمنظمات الدولية المعنية قياساتُ أداءٍ للدول في مجال الأعمال الإنسانية، وأن يكون لها تكريم للمؤسسات العامة والخاصة والأفراد الذين لهم جهود بارزة في الأعمال الإنسانية، سواء كانت غذائية أو صحية أو تعليمية أو تدريبية أو غيرها، ومن ذلك مساعدة المهمشين والمعنَّفين ومن يتعرضون للعمل القسري، وتحديداً جرائم الاتجار بالبشر".

واستعرض معاليه جهود رابطة العالم الإسلامي في الأعمال الإنسانية كافة حول العالم، مؤكداً أن منطَلقها إيماني وإنساني من دون تفريق لأي اعتبار، لا ديني ولا غيره، معلناً عن عزم الرابطة إطلاق جائزة عالمية لمكافأة أهم الجهود في خدمة الأعمال الإنسانية.

من جانبه دعا معالي المدير العام لمنظمة الصحة العالمية، د. تيدروس أدهانوم غيبريسوس، إلى دعم العاملين في القطاع الطبي، ليقوموا بواجباتهم في إنقاذ حياة اللاجئين والنازحين، بشكل عاجلٍ وفعّالٍ، وقال: "لقد نشأتُ في منطقة حروبٍ، وكانت رائحة الحرب وأصواتها ومناظرها تسيطر على حواسِّي. إني أستعيد هذه الذكريات المؤلمة في كلِّ مرةٍ أزور فيها منطقةَ قِتالٍ، وأتمنى لو يتوقف ذلك فورًا".

وأوضح أن التغيُّر المناخي والكوارث الطبيعية يتسببان بمصائب لا تقلُّ عن تلك التي تتسبب بها الصراعات، مطالباً بعدم الاستخفاف بذلك، والاستعداد الدائم له.

فيما أكدت كلمة المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، التي ألقتها السيدة كيلي كليمنتس، أن السلام هو العلاج الدائم لأزمة النازحين، كما هو العلاج لكثيرٍ من المصاعب التي

يواجهها البشر اليوم.

وحذَّرت من أنَّ أزمة النازحين في العالم ضخمةٌ إلى حدٍّ لا يمكن معه لأيِّ منظمةٍ أن تعالجها بمفردها.

كما أعربت عن امتنانها لرابطة العالم الإسلامي، لحرصها على بحث أفضل السُبُل التي يمكننا من خلالها التعاون لتوفير المساعدات الإنسانية وإيصالها إلى المُستحقين.

واعتبر دولة رئيس الوزراء النرويجي السابق، السيد كجيل ماجني بونديفيك، المنظمات غير الحكومية أهمّ مؤثرٍ في قطاع العمل الخيري وإيصال المساعدات الإنسانية لمستحقيها، مؤكداً ضرورة عدم التقليل من أهمية نشاط المنظمات والجمعيات المستقلة، إذ إن معظم المساعدات تأتي من تلك الجهات وليس من الحكومات التي تكتفي - في كثيرٍ من الأحيان - بالتنسيق مع الدول المستفيدة من المساعدات.

رئيس الوزراء النرويجي: المنظمات غير الحكومية أهمّ مؤثرٍ في قطاع العمل الخيري

أمين عام مجلس الكنائس العالمي: المنظمات والمجتمعات الدينية هي الطليعة والأساس طويل الأجل للأعمال الإنسانية

وأكد سعادة الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي، القس الأستاذ د. إيوان سوكا، أنه على الرغم من أهمية عمل الوكالات الإنسانية الدولية إلا أن المنظمات والمجتمعات الدينية الوطنية والمحلية هي

"مدير برنامج الأغذية العالمي: بالتعاون نستطيع مواجهة الصراعات والحروب والقضاء على الجوع وإحلال السلام

"الأمين العام للاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر: التحديات التي تواجه العمل الإنساني لا تقتصر على الحروب والاشتباكات

الطليعة، والأساس طويل الأجل، للإغاثة الإنسانية والتنمية.

وأوضح أن الكنائس لا تقوم بأعمالٍ إنسانيةٍ من أجل التبشير، أو من أجل أجندةٍ خفيّةٍ أخرى، ولا ينبغي لها ذلك، بل هي تنطلق من هويتها في كل عملٍ.

بدوره شدّد دولة رئيس وزراء باكستان السابق، السيد يوسف رضا الكيلاني الناشط في العمل الإنساني، على ضرورة التعاون والعمل المشترك لتقديم المساعدات بطريقةٍ فعّالةٍ وفي الوقت المناسب للشعوب التي تعاني، مؤكداً أن على الجميع أن يؤمن بأنه عبر التواصل المؤثر الصادق يمكننا إيجاد حلولٍ لأكبر المشاكل في العالم.

واعتبر الأمين العام للاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر أن توافر القيادة المحلية للأعمال الإنسانية مسألة حيوية، "ورأينا كيف أن الإغلاق الصحي وقيود السفر كبّلت أيدينا في المنظمات، وأصبح الرهان الوحيد على الجمعيات المحلية".

ولفت إلى أن التحديات التي تواجه العمل الإنساني لا تقتصر على الحروب والاشتباكات، وإنما تشمل التغيُّر المناخي والانهيار الاقتصادي والتمييز بكافة أشكاله، بالإضافة إلى آثار أزمة كورونا.

في حين قال معالي المدير التنفيذي لبرنامج الأغذية العالمي، السيد ديفيد بيزلي: "دعونا نعمل معاً لتحقيق السلام في جميع أنحاء العالم. لا أشك في أننا بالتعاون نستطيع مواجهة الصراعات والحروب والقضاء على الجوع وإحلال السلام".

وحذَّر من أن ارتفاع أسعار المواد الغذائية والتضخم أديا إلى دفع أكثر من ٤٨ دولة حول العالم إلى حالات من زعزعة الاستقرار، والاضطرابات السياسية، وأعمال الشغب والاحتجاجات.

ونوَّه سعادة المدير الدولي لمؤسسة فن العيش، السيد سوامي جيوثيرمايا، إلى أن السلام هو العنصر الأساس في كلِّ مشروعٍ تنموي، وتحقيقه يسمح لكلِّ شخصٍ في العالم أن يُنشئ أسرةً صالحةً، ومجتمعاً آمناً، ودولةً ناجحةً.

وقال: "لقد اكتشفنا مؤخراً أن الضغوطات النفسية تفرز العنف، وهذا قد يُفسّر كثيراً من موجات العنف التي نعيشها اليوم عقب أزمة كورونا، التي تسببت بضغوطات نفسية على الجميع".

معالي الدكتور
محمد بن عبد الكريم العيسى
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي
ضيف شرف
لملتقى التعاون بين
المنظمات الدولية
في المجالات الإنسانية
الدكتور
تيدروس أدهانوم غيبريسوس
المدير العام لمنظمة الصحة العالمية
سعادة
ديفيد بيزلي
المدير التنفيذي لبرنامج الأغذية العالمي والفائز بجائزة نوبل 2020
سعادة السيد
جاغان تشاباجين
الأمين العام للاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر
سعادة السيدة
كيلي كليمنتس
مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين
سعادة الدكتور
إيوان سوكا
الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي
سعادة السيد
كجيل ماجني بونديفيك
رئيس الوزراء النرويجي
mwlorg
themwl.org
رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE

في احتفالية دولية شهدتها شخصيات دينية وفكرية

بدءاً من العاصمة الرباط..

د.العيسى يعلن الانطلاقة الأولى للنُّسخ المتجولة حول العالم لمتاحف السيرة النبوية

الرباط:

في احتفالية دولية شهدتها شخصيات دينية وفكرية، أعلن معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، من مقر منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، استكمال متطلبات الانطلاقة الأولى للنُّسخ المتجولة حول العالم لمتاحف ومعارض السيرة النبوية، بدءاً من العاصمة الرباط، موضحاً أن انطلاق نسخة المملكة المغربية الشقيقة جاء بترحاب ورعاية سامية من جلالة الملك محمد السادس.

وفي مؤتمر صحفي موسع صاحَبَ احتفالية الإعلان، كشف معالي الدكتور العيسى أن يوم

الاثنين الـ٢٦ من ذي الحجة المقبل/ ٢٥ يوليو ٢٠٢٢ سيشهد استقبال ضيوف النُّسخة الأولى للمتاحف المتجولة للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية، وذلك ابتداءً في مقرِّ منظمة الإيسيسكو في الرباط مُعبّراً ذلك عن ترحيب الدول الإسلامية من منظمتهم الإيسيسكو ببداية هذه الانطلاقة المتجولة حول العالم، على تطلُّع في أن تكون هذه النسخة بعد استطلاع كامل انطلاقتها مع الجانب المغربي الشقيق نسخة مستدامة بمتحف مستقر مع الشركاء في المغرب العزيز، ولا سيما أن لعلماء المغرب إسهاماً وازناً عبر التاريخ الإسلامي في إثراء مدونات السنة النبوية في منظومة علماء الأمة الإسلامية التي حفلت إسهاماتهم جميعاً بركن ركين في المقر الرئيس لمتاحف ومعارض السيرة النبوية والحضارة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث الحفاوة والدعم الكبير من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان "يحفظهما الله" لكل ما من شأنه خدمة الكتاب والسنة وسيرة نبينا وسيدنا الكريم صلى الله عليه وسلم وحضارتنا الإسلامية، مؤكداً معاليه أن رابطة العالم الإسلامي بأسرها هي حسنة من حسنات المملكة العربية السعودية أهدتها للعالم الإسلامي.

وقدَّم معالي الشيخ د. محمد العيسى شرحاً مفصلاً حول المتاحف الدولية للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية التي تُعَدُّ سابقة "من نوعها" في تاريخ التعريف بالسيرة النبوية

والحضارة الإسلامية، بما تتفرد به من مصادر وتقنيات ووسائل عرض تواكب أحدث تقنيات العصر، انطلاقاً من مقرها الرئيس بالمدينة المنورة. وتطرق لما يتضمنه المتحف من تقنيات حديثة للعرض، تروي وتوثق بالتفصيل سيرة رسولنا وسيدنا الكريم عليه الصلاة والسلام، قام عليها طاقمٌ علميٌّ راسخٌ بأسلوبٍ يخاطب العقل والوجدان معاً، موضحاً أنه يقدِّم لزواره حول العالم -من مسلمين وغير مسلمين- معلوماتٍ مهمةً تحمل في طياتها قيم الإسلام الرفيعة وفي تضاعيفها التصدي للمفاهيم المغلوطة سواء كانت صادرة عن التطرف المحسوب زوراً على الإسلام أو التطرف المضاد.

وتأتي هذه الانطلاقة الأولى للفكرة الفريدة والعملية (النُّسخ المتجولة من متحف السيرة

بـ٣ لغات و١٠ أقسام شاملة يُعرض محتواها العلمي عبر حزمة من التقنيات الحديثة والشاشات التفاعلية المتطورة

النبوية والحضارة الإسلامية من مقره الرئيس بالمدينة المنورة) ضمن طموح رابطة العالم الإسلامي لتوسيع نطاق التجربة الاستثنائية لمشروع "السيرة كأنك تعيشها"، لتصل إلى الجميع حول العالم.

من جانبه، أكد معالي الشيخ الدكتور أحمد عبادي، الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء بالمملكة المغربية، أن التقنيات الحديثة تفرض على المؤسسات التي تقع على عاتقها مسؤولية

التعريف بالجناب الشريف والسيرة النبوية أن تواكب التطورات التكنولوجية حتى تتمكن من الوصول إلى الجمهور المستهدف، وتعزز التفاعل مع الشباب واليافعين، ذلك باعتبار أنهم يقضون قسطاً كبيراً من وقتهم في متابعة المضامين الرقمية.

فيما نوّه معالي الدكتور سالم بن محمد المالك، المدير العام لـ "الإيسيسكو"، بالتعاون الاستراتيجي المهم الذي يجمع بين منظمة الإيسيسكو ورابطة العالم الإسلامي والرابطة المحمدية للعلماء، وترحيبه الكبير باستضافة هذه النسخة في الرباط، في إطار الاحتفال بالرباط عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي ٢٠٢٢.

يشار إلى أن المتحف الذي تستضيفه الرباط، يعرض بثلاث لغات هي العربية والإنجليزية والفرنسية، ويضمّ عشرة أقسام متنوعة وشاملة، يتم عرضها عبر حزمة من التقنيات الحديثة والشاشات التفاعلية المتطورة، مثل تقنيات التصوير التجسيمي، وتقنيات الواقع الافتراضي، والواقع المعزز، وشاشات العرض ثلاثية الأبعاد، إضافة إلى تقنيات "ماجيك بوكس"، وشاشات العرض ثلاثية الأبعاد التفاعلية، والمجسمات التقنية (الماكتات) المدعومة بتقنية الربط التفاعلي، والبانوراما التعليمية، وغيرها من التقنيات وأساليب العرض التي تقدِّم مضامين موسوعية بطريقة إبداعية ميسَّرة تناسب جميع الأعمار.

د. العيسى يلتقي أعضاء الكونغرس الأمريكي

التقى معالي الشيخ د. محمد العيسى في مكتبه بالرياض، وفداً من أعضاء الكونغرس الأمريكي، ضمَّ كلاً من: السيد كريس ستوارت من ولاية يوتا، والسيدة ليسا مكلين من ولاية ميتشغان، والسيد جاي ريسكنثالر من ولاية بنسلفانيا، يرافقهم كبار الموظفين في مكاتب النواب.

الأمين العام يلتقي رئيس التجمع الثقافي الإسلامي في موريتانيا

استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى في مقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، معالي رئيس منتدى علماء إفريقيا، رئيس التجمع الثقافي الإسلامي في موريتانيا وغرب إفريقيا، معالي الشيخ د. محمد الحافظ النحوي.

الأمين العام يستقبل مسؤولين سويديين ومسؤولين ألمان

زار فرع الرابطة بالرياض مسؤولون سويديون عن "حوار الأديان ومكافحة الإرهاب"، ومسؤولون ألمان عن "ملف أفغانستان"، بحضور سعادة سفيري السويد وألمانيا لدى المملكة، ثم التقوا في صورة تذكارية بمعالي الشيخ د. محمد العيسى، جاء ذلك في إطار تفاعلهم مع ملتقى القيم المشتركة بالرياض.

أكد أنه عمل يتواءم مع رؤية المملكة في إثراء الباعث الإيماني للحجاج والعمار والزوار

د. القصبي يزور المتحف الدولي للسيرة النبوية

المدينة المنورة:

زار معالي الدكتور ماجد بن عبدالله القصبي، وزير التجارة، وزير الإعلام المكلف بالمملكة العربية السعودية، المقرَّ الرئيس للمتحف الدولي للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية بالمدينة المنورة.

واطّلع معاليه على أروقة المعرض ابتداءً من قسم التحيات لله أهل الثناء والمجد، مروراً بقسم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كأنك تراهم، ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم كأنك معه، وقسم المرأة والطفل، ثمّ اطّلع على المجسمات التقنية الحضارية والأطالس العصرية، والموسوعات المحكّمة وغيرها.

وأعرب معاليه عن إعجابه الكبير بهذا المنجز العلمي لإرثنا الإسلامي، والذي تمَّ تقديمه في قالبٍ عصري وثائقي يعتمد تقنية العرض، وهو في جملة الأعمال الجليلة التي تؤكد اهتمام المملكة العربية السعودية بخدمة الكتاب الكريم والسنة المطهرة، ولا سيما السيرة النبوية العطرة، مشيراً معاليه إلى أنه عملٌ يتواءمُ مع رؤية المملكة العربية السعودية في إثراء الباعث الإيماني لقاصدي الحرمين الشريفين.

ويحظى المتحف الدولي للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية، الذي تحتضنه المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية كمركز رئيس، بالمتابعة والاهتمام المحلي والعالمي في سياق الرعاية والدعم الكبير للشأن الإسلامي، ولا سيما سيرة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، من لدن القيادة الرشيدة لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، حفظه الله، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان، حفظه الله.

وتُعدُّ المتاحف الدولية للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية سابقة "من نوعها" في تاريخ التعريف بالسيرة النبوية والحضارة الإسلامية، بما تتفرَّد به من مصادر وتقنيات ووسائل عرض تواكب أحدث تقنيات العصر، انطلاقاً من مقرها الرئيس بالمدينة المنورة، لتقدِّم لزوارها حول العالم -من مسلمين وغير مسلمين- معلوماتٍ عن القيم الإسلامية والتصدي للمفاهيم المغلوطة عنها، مجسّدة بالشاهد الحيّ النصرة الحقيقية لنبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، بعمل مستدام لا يرتهن للأحداث الوقتية.

الرابطة تدين التصريحات المسيئة لنبينا محمد ﷺ

مكة المكرمة:

أدانت رابطة العالم الإسلامي التصريحات المسيئة لجناب نبينا وسيدنا الكريم صلى الله عليه وسلم الصادرة عن المتحدثة باسم حزب بهاراتيا جانات الهندي.

وحذَّر معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى من المخاطر التي تنطوي عليها أساليب إثارة الكراهية، ومن ذلك التطاول على الرموز الدينية، مؤكداً في الوقت ذاته الترحيب بإعلان حزب بهاراتيا جانات في الهند "إيقاف المتحدثة عن العمل، وإدانته بشدةٍ إهانةَ أيّ رموزٍ دينيةٍ لأي دينٍ".

ودعا معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، باسم الأمانة العامة للرابطة ومجامعها وهيئاتها ومجالسها العالمية إلى تفويت الفرصة على رهانات مثل هذه الممارسات العبثية، مؤكّدًا بأنَّ هذه المجازفة الخاسرة وأمثالها لن تزيد المسلمين إلا إيمانًا مع إيمانهم، وثباتًا على قيمهم، وذبًّا عن جناب نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم .

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE
themwl.org mwlorg

علماء ومفكرون يؤكدون: «ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان حدث تاريخي استثنائي»

إعداد: عبد الله حسين

عبر عدد من العلماء والمفكرين والأدباء عن بالغ سعادتهم باستضافة رابطة العالم الإسلامي ملتقى "القيم المشتركة بين أتباع الأديان" في العاصمة السعودية الرياض، الذي عقد في وقت احتدت فيه الصراعات في العالم، لتنبثق عنه توصيات تاريخية تعكس المنهج الانفتاحي وروح التسامح الذي يرسخ لإحياء السلام في العالم.

وأشادوا بالتنظيم الرائع ومستوى التمثيل والمشاركة، والكلمات التي سكبت الماء على جمر خطاب التطرف، والتوصيات التي غطت كافة الجوانب التي تحتاجها البشرية ليعم السلام بين الأمم.

ثقافة التسامح

السيد محمد علي الحسيني كتب مقالين أحدهما في صحيفة عكاظ بتاريخ ١١ مايو، والآخر في صحيفة مكة بتاريخ ١٥ مايو ٢٠٢٢، أشاد فيهما

الحسيني: وثيقة مكة دستوراً إنسانياً محضاً يشكل ضمانة لحماية السلام للبشرية

بأهمية الملتقى، معتبراً الملتقى مرحلة للانفتاح ونشر ثقافة التسامح، وقال: إن دعوة المملكة للملتقى "القيم المشتركة بين أتباع الأديان" ليست مجرد بروباغندا، إنما هي خطوة عملية لإحلال السلام عبر منصة فكرية علمائية تعمل فعلياً على تجسيد وثيقة مكة المكرمة التي تعتبر دستوراً إنسانياً محضاً يشكل ضمانة لحماية السلام للبشرية بتفعيل بنودها واحترام مخرجاتها لتحقيق أهدافها السامية.

وفي مقاله بعنوان ملتقى الرياض الروحي رسالة ودلالة، وصف الملتقى بأنه: "حدث تاريخي استثنائي بامتياز، وبجاح باهر تكلل به ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان في الرياض، فالملتقى العالمي استطاع أن يجمع عدداً كبيراً من القادة الدينيين الأكثر تأثيراً في العالم، ليقولوا كلمتهم التي أجمعت على أهمية الاعتراف بالآخر واحترام ثقافة الشعوب المختلفة وأديانهم وقومياتهم في إطار التنوع الحضاري، واعتبار التنوع سنة الله في خلقه، فالاختلاف آية ورحمة للبشرية، والبشر كلهم من نفس واحدة، والهدف هو الحفاظ على هذا التراث بفسيفسائه الملونة بمجموع هذه الثقافات التي تشكل كنزاً للبشرية قاطبة، وفي المقابل توحدت الرؤية حول ضرورة مواجهة التطرف والإقصاء بكل صوره وأشكاله باعتباره يشكل تهديداً وخطراً على المجتمعات الإنسانية".

وأضاف: "ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان رسالة راسخة تدعو إلى التسامح والانفتاح، ولم يأت ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان الذي انعقد في الرياض بتاريخ ١١ مايو من فراغ، وهذا ما أكده القادة الدينيون والعلماء والمفكرون، بل جاء من جهة بفضل منهج الوسطية والاعتدال والانفتاح الذي تسير عليه المملكة العربية السعودية منذ إطلاق رؤية ٢٠٣٠ بفضل قادتها وحكمتهم، فقد أثبتوا بالدليل والبرهان أنهم دعاة سلم وأمن مصداقاً لقوله تعالى: "والله يدعو إلى دار السلام"، كما أنه من جهة ثانية ثمرة وثيقة مكة المكرمة التي أينعت بفضل توجيه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، ورعاية واهتمام ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، وجهود الشيخ د. محمد بن عبدالكريم العيسى، أمين عام رابطة العالم الإسلامي، ومبادراته من أجل تفعيل مخرجات الوثيقة التي لم تترك صغيرة ولا كبيرة في سبيل تحقيق التعايش السلمي بين جميع الشعوب إلا وتطرقت إليها، منطلقة من معادلة إنسانية شاملة، المسلمون جزء منها والاختلاف سنة كونية".

إنسانية واحدة

الأستاذ الدكتور رشود بن محمد الخريف كتب مقالاً في صحيفة الاقتصادية بعنوان "نحن أسرة إنسانية واحدة"، بتاريخ ١٥ مايو ٢٠٢٢م، جاء فيه

"بالأمس القريب اختتم ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان اجتماعاته في الرياض، الذي هدف إلى تطوير رؤية حضارية مشتركة لترسيخ قيم الوسطية في المجتمعات الإنسانية، وتحويل الخلافات المفتعلة بين الأديان والحضارات، إلى تضامن وتعاون وتفاهم، مؤكداً ضرورة تعزيز السلام والتضامن حول العالم، وشارك فيه قادة مسلمون ومسيحيون ويهود وبوذيون وهندوس. وجاءت هذه المبادرة استشعاراً من المملكة بأن الحروب والاضطرابات ذات البعدين الديني والطائفي ينبغي أن تتوقف، لأنها تقوم على فهم خاطئ للأديان التي تنادي جميعها بقيم السلام والتعايش والاستقرار".

وأضاف: "وهدف الملتقى إلى بلورة رؤية حضارية لترسيخ قيم الوسطية في المجتمعات البشرية، وتعزيز الصداقة والتعاون بين الأمم والشعوب، بمشاركة قادة الأديان حول العالم. وفي كلمة أمين عام رابطة العالم الإسلامي المبهرة والرائعة، أشار إلى أن لجميع أتباع الأديان الحق في الوجود بكرامة واحترام، مع رفض أي تأويل خاطئ أو متعمد يقوض التعايش بين أتباع الأديان، وأن الاعتدال الروحي يجمع ولا يفرق،

أمين: العيسى حمل على كاهليه مهمة رائدة في نقل صورة رائعة عن الإسلام

مطالبا بضرورة تجنب التقلب في المواقف من أجل أهداف مرحلية".

تجسير ووسطية

الكاتب إميل أمين نشر في صحيفة الشرق الأوسط مقالاً بعنوان: "ملتقى القيم المشتركة... كرامة وتجسير ووسطية"، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٢م، جاء فيه: "اللقاء الذي شهدته العاصمة السعودية الرياض، وبدعوة من رابطة العالم الإسلامي، تحت عنوان "ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان"، يمكن النظر إليه بوصفه خطوة تقدمية، إيمانية وإنسانية خلاقة، في طريق مسيرة أكثر تألقاً وبهاءً، تعلو فيها رايات الوفاق، وتنزاح عن طريقها علامات الافتراق،

الخريف: الملتقى رؤية حضارية لترسيخ قيم الوسطية في المجتمعات البشرية

ودعوة لبلورة رؤية حضارية لترسيخ قيم الوسطية في المجتمعات البشرية، لا سيما في أوقات المحن الشديدة كحاضرات أيامنا".

وأضاف: "يقف على رأس الرابطة اليوم قامة علمية وفكرية خلاقة، الدكتور عبد الكريم العيسى، والذي حمل على كاهله في السنوات الأخيرة مهمة رائدة في نقل صورة رائعة عن الإسلام الوسطي السمح والقابل للآخر. ومن أنفع وأرفع ما قيل في بدايات الملتقى وعلى لسان الدكتور العيسى أن لجميع أتباع الأديان الحق بالوجود بكرامة واحترام، مع رفض أي تأويل خاطئ أو متعمَّد يقوّض التعايش بين أتباع الأديان".

وتساءل الكاتب في مقاله: كيف يمكن للمرء أن يقيّم مثل هذه الدعوة وذاك الملتقى؟

لا يمكن أن ننزع دلالات اللقاء عن القاعدة التي تنطلق منها أعمال الرابطة، والتي تدور في فلك المشتركات الجامعة التي تكفل التعايش الأمثل في عالمنا لجميع البشر مع تنوع ألسنتهم وتعدد رواياتهم وسردياتهم الروحية والتاريخية عبر الزمان والمكان.

ولعل ما يُكسب دعوات رابطة العالم الإسلامي مصداقية خاصة، هو أنها لا تتعامل مع أي أهداف أيديولوجية أو سياسية أياً كانت، ولهذا يجيء مثل هذا التجمع للقادة الدينيين الذين خلوا من أي توجهات تخرج عن الإطار الديني.

وأضاف: "حين تدعو الرابطة قادة الأديان حول العالم، فهي تسعى وراء ركيزة أساسية في طريق عودة كرامة الإنسان، ذلك أن هؤلاء قادرون على تهيئة الأرضية للحوار، ومن ثم الجوار، بين الأتباع لا سيما من المؤمنين من مشارق الأرض إلى مغاربها، ولا يغيب عن أعينهم أهمية وجسامة الدور الذي يقومون به، أي قيادة الناس وتنبيههم إلى نقاط الالتباس".

ثقافة التعايش

الكاتب والإعلامي ممدوح المهيني نشر في صحيفة الشرق الأوسط مقالاً بعنوان: "مسيحيون ويهود في الرياض" بتاريخ ٢٠ مايو ٢٠٢٠م، جاء فيه "في الرياض اجتمعت الأسبوع الماضي أعداد كبيرة من علماء المسلمين واليهود والمسيحيين للحديث بعضهم مع بعض في ملتقى "القيم المشتركة بين أتباع الأديان"، لتأسيس ثقافة الحوار والتعايش، بعد أن تُركت لهم الساحة لعقود وربما قرون وهم يتحدثون بعضهم عن بعض، ما يعني زرع المزيد من الأحقاد والكراهية الدينية بين الأتباع".

وأضاف: "الآن نرى الصورة مختلفة. استضافة السعودية لهذا المؤتمر المهم تحمل رمزية مهمة

بسبب مكانتها وقيادتها للعالم الإسلامي، الأمر الذي سيمنح خطاب التسامح دَفعة كبيرة. أي إن السعودية وضعت ثقلها في خطوة كبيرة ستغيّر المستقبل للأفضل. بعد أن أشعل المتطرفون النار خلال عقود سيطروا فيها على المنابر والخطابات الاجتماعية توارت بسببهم الأصوات المعتدلة والمتسامحة، نرى صوت العقل يعود من جديد بدعم من الرياض التي حاربت خلال السنوات الماضية واقعياً المتطرفين في الداخل وتستثمر الآن مكانتها لنشر خطاب الاعتدال في الخارج".

وألمح الكاتب إلى بعض الكلمات المهمة في الملتقى فقال: "في الكلمات التي أُلقيت في مؤتمر ملتقى القيم، قال الشيخ محمد العيسى، أمين رابطة العالم الإسلامي، إنه "لجميع أتباع الأديان الحق في الوجود بكرامة واحترام"، وأكد عضو المجلس البابوي لحوار الأديان في حاضرة الفاتيكان خالد عكشة: "ضرورة احترام حياة الإنسان وحريته الدينية"، وفي خطاب كبير الحاخامات في إيطاليا ريكاردو ديزيجني قال إن بذور التسامح سوف تنمو خلال السنوات القادمة، وإن للدين قوة روحية ويجب أن يكون دوره إيجابياً في صناعة السلام. كلمات مثيرة للإعجاب أشبه بسكب الماء على جمر خطاب التطرف الذي ظل مستعراً لقرون. كما هو واضح نحن بحاجة إلى سكب المزيد من الماء حتى تخمد النيران مرة واحدة وللأبد".

ملتقى التسامح

الكاتبة هيلة المشوح أشادت في مقالها المنشور بتاريخ ٢٣ مايو ٢٠٢٢م، بصحيفة عكاظ تحت عنوان: "الرياض.. ملتقى التسامح" بمستوى الحضور المتميز، وقالت "تم توجيه الدعوة للحضور بكل دقة وعناية من قبل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد العيسى، فحضور الملتقى جميعهم قادة دينيون مستقلون تماماً عن أي توجهات أو أيديولوجيات

"المهيني: الكلمات مثيرة للإعجاب أشبه بسكب الماء على جمر خطاب التطرف

دينية أو سياسية، وخالصةً من أي أهداف غير هدفها السامي، حيث شددت الرابطة على أن الضيوف من القادة الدينيين من المكونات الأخرى غير الإسلامية، قادة متميزون عُرِفَ عنهم احترام المسلمين والوقوف معهم في عدد من القضايا بمواقف نبيلة".

وأضافت: "يقول أمين عام رابطة العالم الإسلامي في كلمته أمام ضيوف الملتقى: "نرفض أي تأويل خاطئ أو متعمد يقوض التعايش بين أتباع الأديان، وهذا الملتقى هدفه تعزيز التفاهم والانسجام بين أتباع الأديان، واعتدالنا الروحي يجمع ولا يفرق"، وهذا في تقديري التزام عظيم بمبادئ الاعتدال والدعوة للتسامح والتعايش بسلام بين شعوب الأرض".

واستشهدت قائلة: "تاريخياً.. جُلّ الحروب والصراعات

المشوح: حين يكون للعقلاء لقاء وحوار فقطعاً للبشرية فرصة للسلام

الحارثي: أهمية ملتقى القيادات الدينية يكمن في الإنسان والمكان والزمان

التي مرت بها البشرية -إن لم تكن كلها- هي صراعات عقدية دينية أشعل فتيلها رجال الدين بحجج حماية المقدسات أو دفاعاً عن المعتقدات، واستفادت منها السياسات المستبدة في مشارق الأرض ومغاربها، احتراباً ودماراً ودماءً وأطماعاً واستعماراً حتى يومنا هذا، ولكن حين يكون للعقلاء لقاء وحوار وكلمة فصل بين الاعتدال والتطرف، وبين التعايش والصراعات العقائدية المدمرة، فقطعاً للبشرية فرصة أخرى للسلام".

قصة نضوج

أشاد الأستاذ زهير الحارثي في مقاله بعنوان "قيادات دينية تلتقي في الرياض... ما الذي يحدث؟"، والمنشور في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٤ مايو ٢٠٢٢م، بكلمة معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي فقال: "كان موفقاً الأمين العام النشط الدكتور محمد العيسى عندما قال إننا نرفض أي تأويل خاطئ أو متعمَّد يقوّض التعايش بين أتباع الأديان، وضرورة تجنب التقلب في المواقف من أجل أهداف مرحلية".

وأضاف: "أهمية حدث ملتقى القيادات الدينية في

الرياض يكمن في الإنسان والمكان والزمان بدليل الرغبة التي تولدت لدى الجميع في ضرورة تغيير الوضع القائم في عالمنا، خصوصاً بعد مشاهد العنف والرعب والقتل التي شهدها الكثير من دول العالم خلال السنوات الماضية. ولك أن تعود بالذاكرة قليلاً وتتأمل المشهد، حيث تجد أن الملامح ينهشها العنف ورائحة الموت والبارود ومشاهد الدماء وأشلاء الجثث".

واختتم مقاله قائلاً: "لا يمكن أن يعيش العالم في أمن واستقرار ما دام لم يسعَ لنشر روح التسامح والتعايش والسلام في أرجاء العالم كافة. ترويج تلك اللغة على الصعيد الديني والثقافي والشعبي سيدفع دول العالم نحو ترسيخ قيم التسامح والتركيز على القواسم المشتركة، ورفض لغة الإقصاء والتعصب الديني والتمييز. ويظهر لي أن هذه رسالة السعودية اليوم للعالم".

إجماع عالمي

اعتبر الكاتب فيصل الشمري في مقاله بعنوان "مؤتمر القيم الدينية المشتركة في الرياض"، والمنشور في صحيفة مكة بتاريخ ٢٢ مايو ٢٠٢٢م، الملتقى "حدثاً كبيراً جمع بأناقة الوعظ الأخلاقي للأديان مع التأكيد أن المكافآت العظيمة من أجل الإنسانية

إذا كان بإمكان الأديان أن تتعاون معا لتعزيز المعايير الأخلاقية للتعايش المشترك".

وأضاف: "تحدث البيان الختامي للمؤتمر عن لغة غير مسبوقة، وعلى سبيل الاقتباس من إحدى فقراته، ذكر أن (الأهداف الجماعية للمنتدى كانت الوصول إلى إجماع عالمي في سياق رؤية حضارية مشتركة لتعزيز التعاون والثقة بين القادة الروحيين العالميين، والاستفادة من قواسمهم المشتركة من خلال وضعهم في طليعة المبادئ المشتركة للقيم الإنسانية، وتعزز قيم الاعتدال والوئام، وتدعم بشكل فعال الجهود المبذولة لتعزيز التسامح والسلام، وتضع أطراً فكرية عقلانية للتحصين ضد مخاطر الأيديولوجية وسلوك المتطرفين بغض النظر عن مصدرها".

وأضاف: "أثبت الاجتماع في الرياض أن الأديان يجب ألا تكون بعيدة جداً عن الفكر الإنساني، وأن الأديان يمكن أن تغذي بشكل جيد التعاطف الإنساني من أجل العلاقات الشخصية اللائقة. المذاهب الدينية تكتفي في كثير من الأحيان بطاعة الناس بالاتباع للطقوس الدينية، لكن مؤتمر رابطة العالم الإسلامي دعا إلى مبدأ ديني جديد مفاده أن الأديان يجب ألا تغفل عن الشروط الأخلاقية اللازمة لإنقاذ البشرية وتقدمها".

> **الشمري: أثبت الاجتماع أن الأديان يجب ألا تكون بعيدة عن الفكر الإنساني**

> **المرشد: الملتقى يترجم الرسالة الإنسانية التي تقودها الرابطة ممثلة للدول الإسلامية**

منتدى إنساني

الكاتبة عبلة مرشد ذكرت في مقالها المنشور في صحيفة الوطن بعنوان: "ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان"، وبتاريخ ٢٥ مايو ٢٠٢٢ م: "اهتمت رابطة العالم الإسلامي بأن يكون الملتقى منتدى اجتماعياً إنسانياً بين أتباع الأديان المختلفة والمذاهب، يترجم الرسالة الإنسانية التي تقودها رابطة العالم الإسلامي كممثلة للدول الإسلامية وشعوبها في سعيها نحو تقارب الأديان وتآخيها والدعوة إلى التعاضد والتآزر من أجل مصلحة البشرية بمختلف انتماءاتها ومرجعياتها الدينية".

وأضافت: "يُعد ملتقى القيم المشتركة لأتباع الأديان، امتداداً لجهود رابطة العالم الإسلامي نحو بناء جسور الثقة المتبادلة ونشر التسامح والتآخي بين شعوب العالم بمختلف طوائفها وديناتها، ولسعيها نحو نبذ العنف والتطرف الذي أصبح يهدد الوجود الإنساني، والعمل معاً لتحقيق أهداف مشتركة لصناعة سلام عالمي وتصالح ووئام يسود البشرية جميعها".

الرابطة تدين الاعتداء الإرهابي على الكنيسة في نيجريا

مكة المكرمة:

أدانت رابطة العالم الإسلامي، الاعتداء الإرهابي الذي استهدف كنيسةً في نيجيريا، موقعاً عدداً كبيراً من الضحايا والمصابين.

ونددّ معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، بهذه الجريمة الإرهابية، التي استهدفت الأبرياء الآمنين وانتهكت حرمة أماكن العبادة، مؤكداً معاليه أن الاعتداء على دور العبادة جريمة مدانة لا يمكن تبريرها تحت أي ذريعة، ودعا لتضافر الجهود لمواجهتها بحزمٍ.

وأكد معاليه باسم الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي ومجامعها وهيئاتها ومجالسها العالمية، التضامنّ الكاملّ مع جمهورية نيجيريا إزاء هذا المصاب الأليم، والوقوف معها في مواجهة كافة أشكال التطرف والإرهاب، متقدماً بخالص التعازي لذوي الضحايا، وللحكومة والشعب النيجيري العزيز، ومتمنياً للمصابين الشفاء العاجل.

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE
themwl.org mwlorg

٢٠ توصية لندوة الفتوى في الحرمين

اعداد: توفيق محمد نصر الله

أقامت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بالشراكة مع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ندوة "الفتوى في الحرمين وآثارها في التيسير على القاصدين".

وأصدرت الندوة جملة من التوصيات على النحو التالي:

أولاً: إبراز مكانة الفتوى ومنزلتها، والتزام المملكة العربية السعودية منهج الوسطية والاعتدال في شتى المجالات، وخصوصًا في الفتوى، وعنايتها ببناء المفتين، وحرصها على توعية ضيوف الرحمن لتحقيق مقاصد العبادة.

ثانياً: أهمية استثمار التقانة والذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي ومواقع التواصل في ربط الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن مع الطاقات الاستيعابية مع الأحكام المتغيرة بتغيرها؛ لبيان الإجابة للسائلين عن الأحكام الشرعية في الحرمين الشريفين.

ثالثاً: العمل على إنشاء مركز معلومات يُعنى بجمع الفتاوى المتعلقة بالحرمين الشريفين في قاعدة بيانات، مع العناية بترجمتها وتحويلها رقمياً لتعم بنفعها العالم الإسلامي.

رابعاً: إعداد موسوعة تكون معلمة للفتوى، ورقية ورقمية، ذات تشجير علمي، تراعي تنوع الأحوال واختلاف المذاهب، وتفيد من الذكاء الاصطناعي في التعرف على حال المستفيد -المستفتي-، وإيصاله للسؤال وجوابه المناسب لحاله، وجمع المسائل والنوازل في الحرمين الشريفين والفتوى الصحيحة فيها.

خامساً: تفعيل الجانب التوعوي بإعداد مقاطع مرئية؛ توضح الأحكام المتعلقة بالحج والعمرة والزيارة، وتكون مترجمة بلغات متعددة تخاطب ضيوف الرحمن بلغاتهم.

سادساً: إعداد أدلة الكترونية ترشد ضيوف الرحمن وتوعيهم بأحكام المسائل التي تعرض لهم في محطات رحلتهم، وتتفاعل بنظام الذكاء الاصطناعي معهم بحسب المكان والتوقيت وخصائصه الديموغرافية.

سابعاً: أهمية توعية وتأهيل العاملين في خدمة ضيوف الرحمن عمومًا بالأحكام المتعلقة بالخدمات التي يقدمونها، وما يطرأ عليها من أحوال.

ثامناً: الالتزام بعدم السماح بأن يفتي أو يجيب السائلين عن المسائل الشرعية إلا المؤهل بالعلم الشرعي، الوسطي في منهجه، المعتدل في فكره، وأن تيسير الفتوى وتغيرها سائغ لأسبابه المقررة عند أهل العلم لكنه يؤخذ من العلماء الراسخين، والتحذير من المواقع المجهولة أو غير الموثوقة والعناية بالفتاوى الجماعية عند النوازل العامة من الهيئات العلمية والمجامع الفقهية.

- تاسعاً: التزام من يجيب السائلين عن الأحكام الشرعية

في الحرمين الشريفين بالأنظمة المرعية، حفاظًا على انتظام خطط تقديم الخدمات وإدارة الحشود، دون تحزب أو تعصب لمذهب أو طائفة.

عاشراً: الإفتاء وإجابة السائلين عن المسائل الشرعية بالفتاوى المشهورة وتجنب الفتاوى الشاذة، وتوحيد الاجتهاد في المناسك ما أمكن، ومراعاة التيسير في الفتوى، فيما لا يخالف نصًّا أو إجماعًا قطعيًا، ولا ينطوي على تتبع الرخص، ومراعاة أسلوب الخطاب في الفتوى واتصافه بالسعة والتسامح وآداب الاختلاف بين العلماء، وتجنب خطاب العنصرية والكراهية.

الحادي عشر: يراعي من يفتي ويجيب السائل إيضاح الفتوى وسهولة عرضها وفهم المستفتي لها؛ مراعاةً لتعدد ثقافات المستفتين في الحرمين الشريفين ومذاهبهم، وإفهام المستفتي أن تغير الفتوى واختلاف المذاهب هو في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف وفق أدلة معتبرة، والإرشاد للحلول الشرعية لمن وقع في مشكل، ومراعاة التدرج خاصة مع حديثي الإسلام، والحرص على جمع الكلمة والحذر من الفرقة والخلاف.

الثاني عشر: تعزيز دور الفتوى في حفظ الأمن في المجتمعات وحقوق الأوطان والسمع والطاعة لولاة الأمر، ومكافحة التطرف والتشدد والعنف والإرهاب.

الثالث عشر: تعزيز الشراكة بين الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي والرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والجامعات العريقة؛ لبناء خطة استراتيجية للفتوى، وبرامج تأهيلية تجمع بين البناء العلمي والتطوير المهاري واستثمار التقانة من خلال أكاديميات متخصصة، يمولها القطاع الثالث؛ تؤهل من يمارس الفتوى وإجابة السائلين عن المسائل الشرعية ليتحصن بالعلم المؤصل مع مواكبة الوسائل واطلاع على واقع المستفتين والسائلين.

الرابع عشر: الدعوة إلى إقامة مثل هذه الندوة العلمية في المسجد النبوي الشريف، وإقامة مؤتمر علمي عالمي يزخر ببحوث وأوراق عمل، ضمن جلسات متعددة، تخدم الفتوى بالحرمين الشريفين، وتحمل فروعًا في النوازل الشرعية.

الخامس عشر: تكوين فريق عمل مشترك من الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، والرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء؛ لجمع الشروط والضوابط التي ذكرت في هذه الندوة، وإخراجها في لائحة تنظيمية.

السادس عشر: التعاون مع جامعاتنا العريقة واهتمامها بطرح مشروعات بحثية ورسائل علمية وإقامة كرسي بحثي للعناية بفقه الفتوى وما يتعلق به من علوم ومسائل لا سيما ما يختص به الحرمان الشريفان وأثر الفتوى في التيسير على القاصدين.

السابع عشر: تخصيص مرشدات من عضوات هيئة التدريس بالكليات الشرعية بالجامعات بالمملكة؛ يقمن بمهمة التوجيه والإرشاد للسائلات بالحرمين الشريفين خدمةً للقاصدات في الفتاوى ولا سيما التي تخص المرأة.

الثامن عشر: الاهتمام بالفتوى في مناهج التعليم، ومن ذلك: إدراج مادتين مستقلتين بمسمى: "أصول الإفتاء" "الأحكام والنوازل المتعلقة بالحرمين الشريفين"، تدرس ضمن مقررات الكليات الشرعية بالجامعات على أن تعكف لجنة متخصصة على وضع المنهج العلمي.

التاسع عشر: استقبال المبادرات النوعية للإسهام في خدمة الفتوى في الحرمين الشريفين، من خلال بريد الكتروني هو: (s.fatwa@gph.gov.sa)، تستقبل من خلاله الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي طلبات مبادرات كبرى في خدمة الفتوى بالحرمين الشريفين وأثرها في التيسير على القاصدين، على أن تتضمن الضوابط المتبعة في طرح المبادرات النوعية.

العشرون: تكوين فريق عمل إشرافي من الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي والرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، ينبثق عنه فريق تنفيذي لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات بعد اعتمادها.

ترحيب عالمي بعودة موسم الحج إلى طبيعته

مليون حاج من مختلف أنحاء الدنيا يجتمعون في عرفات

اعداد: محمد الدسوقي ـ القاهرة

استقبل المسلمون في مختلف أنحاء العالم بترحيب وتقدير كبيرين، قرار المملكة العربية السعودية بعودة موسم الحج إلى طبيعته التي كان عليها قبل ظهور جائحة كورونا.

مجلة "الرابطة" استطلعت آراء كثيرين حول أهمية القرار وآثاره في حاضر الأمة، فأجمعوا على الترحيب بالقرار، وأكدوا أهميته في هذا التوقيت المهم من حياة الأمة العربية والإسلامية. وقد أشادوا بقرار رفع عدد حجاج موسم هذا العام ـ ١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م ـ إلى مليون حاج من الداخل والخارج، وذلك بعد النجاح الكبير الذي تحقق في تنظيم العمرة خلال الأشهر الأخيرة.

وشدد جميع من استطلعتهم المجلة على أن قرار عودة موسم الحج إلى طبيعته، واستقبال ضيوف الرحمن من الخارج دليل واضح على حرص المملكة الدائم وسعيها المستمر من أجل تمكين المسلمين في مختلف أنحاء العالم من أداء مناسكهم بيسر وراحة وطمأنينة، وفي أجواء من الروحانية الخالصة. وأكدوا ضرورة حرص ضيوف الرحمن من مختلف أنحاء العالم على الحفاظ على المكتسبات الصحية

التي تحققت في مواجهة مخاطر جائحة "كورونا" بالتزام الإجراءات والاحترازات التي حددتها المملكة.

ومن جهتها سارعت الحكومات والمؤسسات العربية والإسلامية بالترحيب والإشادة على المستويات الرسمية والشعبية بقرار إتاحة مليون فرصة للحج أمام المسلمين في مختلف أنحاء العالم، استجابة للنداء القرآني الكريم: "وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ".. (الحج:٢٧).

واستأنفت المؤسسات المعنية بتنظيم الحج في الدول العربية والإسلامية جهودها لوضع ضوابط لإنجاح أداء الفريضة العام الحالي، انطلاقا من الالتزام التام بما حددته المملكة من إجراءات وشروط واحترازات.

الدكتور محمد مختار جمعة وزير الأوقاف المصري أشاد بالقرار الذي استقبله المسلمون، خاصة الراغبين في أداء فريضة الحج، بسعادة كبيرة وفرحة غامرة وسرور بالغ.

وقال وزير الأوقاف المصري: نحن ندعم جميع الاحتياطات والإجراءات التي اتخذتها المملكة العربية السعودية في شأن حج هذا العام، التي شملت ضرورة تلقي جرعات اللقاح الأساسية، وعمل مسحة حديثة، بحيث تكون نتيجتها سلبية، وذلك قبل السفر لأداء الفريضة بنحو ٧٢ ساعة، وأن يكون عمر الحاج أقل من ٦٥ عامًا.

ودعا الدكتور جمعة ضيوف الرحمن من مختلف دول العالم إلى الالتزام التام بجميع التعليمات الصحية والإجراءات المقررة من المملكة في هذا الشأن.

وأشار وزير الأوقاف المصري إلى أهمية ذلك الالتزام وأنه يأتي في إطار تحقيق مقاصد الشرع الشريف في الحفاظ على النفس، وتوخي الحذر بتطبيق الإجراءات الاحترازية، واتخاذ كل ما يلزم لتفادي التزاحم الشديد

د. مختار جمعة

د. أحمد الحسيسي

الإشادة بجهود المملكة في رعاية الحجيج وتيسير أداء المناسك

خلال أداء المناسك.

وأعرب الدكتور أحمد الحسيسي رئيس لجنة الترجمة باتحاد كُتّاب مصر عن سعادته بعودة موسم الحج إلى طبيعته، مشيرا إلى أن الحج من أبرز رموز التضامن الإسلامي بين أبناء الأمة في مشارق الأرض ومغاربها.

وقال: في كل عام تحن قلوب المسلمين وتهفو إلى الكعبة المشرفة؛ ليؤدوا فريضة الحج، وليطوفوا بالبيت العتيق، وليشهدوا منافع لهم، ثم إلى زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليتشرفوا بالسلام عليه، وليقتفوا آثار نبي الهدى والرحمة في رحلة روحية مباركة وضيافة إلهية ميمونة آملين القبول والمغفرة من رب العباد.

وأضاف أنه في الحج يظهر التعارف والتعاون بين المسلمين الذين تجمعوا من كل فج في أيام معلومة وساعات محددة على اختلاف طبائعهم وطبقاتهم وجنسياتهم فيتعارفون ويتعاونون على ما فيه عزة أمتهم ودينهم وصلاح حالهم.

وأوضح الدكتور الحسيسي أنه في الحج تتجلى المساواة التامة بين بنى البشر، فيتجرد الغني من

الأستاذ عبدالمجيد الشواد

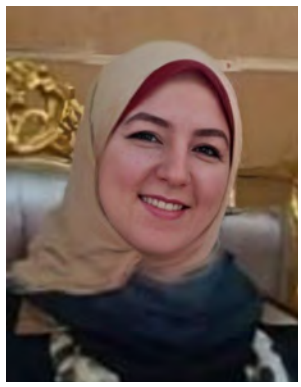

د. إيمان عزمي

الحج من أبرز رموز الوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الإسلامية

ملابسه وزينته وكذا الفقير والصغير والكبير، ويلجؤون إلى لباس موحد لتظهر فيه المساواة، وكلٌّ قد كشف رأسه متجها إلى مولاه يسأله التوبة والمغفرة يتسابقون إلى غاية واحدة هي رضا الله والأمل في قبول الأعمال.

وأشار إلى أن الحج تدريب عملي على التآخي في المظهر والشعور الموحد ولا يتوافر هذا إلا في الحج.

وقال: في الحج التحام تام بين أفراد هذه الأمة... انظر حينما يقع بصر الحاج على الكعبة المشرفة، إنه يقول: اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا، وزد من شرفه ممن حجه أو اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا.

فكل حاج يدعو لزوار البيت العتيق بزيادة التعظيم والتشريف والتكريم إلى أن تقوم الساعة.. فكيف لا نفرح ونسعد بعودة موسم الحج إلى طبيعته؟

وقال الكاتب الصحفي الأستاذ عبدالمجيد الشواد في: إن قرار المملكة العربية السعودية بإعادة تنظيم الحج هذا العام لاستقبال ضيوف الرحمن من مختلف دول العالم يحمل بشرى سعيدة للمسلمين جميعا، فهو يبشر ببدء فترة جديدة من حياتنا تستعيد فيها الأمة العربية والإسلامية كامل أسباب وحدتها وتعاونها وقوتها.

وأضاف أن القرار بمثابة إعلان لانتهاء فترة قصر الحج على حجاج الداخل التي استهدفت حماية ضيوف الرحمن وضمان سلامتهم من الإصابة بفيروس "كورونا" وهي ظروف اقتضتها مواجهة تلك الجائحة التي هددت العالم كله قبل أن تنحسر مخاطرها بصورة ملحوظة.

وأوضح أن القرار أعاد للمسلمين في جميع أنحاء العالم روح الأمة الواحدة إلى سابق عهدها قبل انتشار الجائحة، وأتاح لهم التمتع بزيارة بيت الله الحرام، بمكة المكرمة، والطواف حول الكعبة، والتشرف بالسلام على الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة.

وقال: أتضرع إلى الله عز وجل أن يمنحنا الفرصة للمشاركة في هذه الرحلة الإيمانية، مع جموع المسلمين من مختلف أنحاء العالم، لاستعادة الوحدة الإسلامية، وما تتطلبه من تعميق مجالات الأخوة والتعاون، والارتقاء في التعامل الأخلاقي والإنساني الذي يتميز به أتباع الإسلام الحنيف، بما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من مكارم الأخلاق.

ووصفت الدكتورة إيمان عزمي، أستاذ إدارة الأعمال بالجامعات المصرية والعربية، قرار عودة موسم الحج إلى طبيعته بأنه يبث في المسلمين فرحة كبرى، ويضع الكثيرين منهم أمام حياة إيمانية كبرى وآمال عظمى بُثت فيهم من جديد بهذا القرار بعد وقف احترازي مؤقت كان ضروريا حفاظا على سلامة ضيوف الرحمن من التأثر بالجائحة.

وأوضحت الدكتورة إيمان أن فرحة المسلمين بهذا القرار كبيرة، ذلك أن الحج والاجتماع بعرفات دليل

متجدد على وحدة المسلمين، وأنهم ينتسبون إلى أمة واحدة هي خير أمة أخرجت للناس.

وقالت: إن النفوس المؤمنة تتطلع إلى رحلة الحج باعتبارها رحلة العمر التي يشرف بها ضيوف الرحمن الذين يأتون إلى الأراضي المقدسة مِن كُل فَج عَمِيق.

وأضافت أنه لا يخفى أن الحج في أحد أوجهه يحمل للإنسان دعوة متجددة ليتزود إيمانا وأخلاقا وتهذيبا، فلا رَفث، ولا فسوق، ولا جِدال في الحج.. ولا شيء من ذلك كله في بيت الله الذي هو أول بَيت وضِع لِلنَّاس، ضمانة من خالقهم لأمنهم وأمانهم ووحدتهم..

مليون حاج من مختلف أنحاء الدنيا يجتمعون في عرفات

فهو بيت مبارك من رب العالمين، من دخله كان آمِنا.

واختتمت الدكتورة إيمان حديثها قائلة: إذا جاء من يصف هذه الرحلة بأنها طويلة على البعض، أو مكلفة على آخرين، أو محفوفة بمزيد من الإجراءات والخطوات، فسوف نقول له: إن الشوق والحنين إلى بيت الله الحرام والمشاعر المقدسة في مكة المكرمة يغلب ذلك كله، ويعين على تحمل المشاق محبة وشوقًا وحنينًا.

ولفت أحمد عماد عبد السميع، موظف، إلى أن أهدافا مهمة كانت وراء قلة عدد الحجاج في العامين الماضيين، حيث استهدفت المملكة الحفاظ على حياة ضيوف الرحمن، وحمايتهم من مخاطر جائحة كورونا. لقد كان المشهد صعبا ومقلقا للغاية على صحة الإنسان في مختلف دول العالم خلال الفترة الماضية التي اقتضت قصر الحج على داخل المملكة.

وقال: أشعر بسعادة غامرة وفرحة كبيرة بقرار عودة الحج إلى الظروف الطبيعية التي يتمكن فيها ضيوف الرحمن في الداخل والخارج من أداء فريضة الحج، وتحقيق الكثير من الأهداف السامية، وأبرزها ترسيخ أسباب الوحدة والمساواة والتعاون والتكامل بين المسلمين.

وأعربت انتصار محمد، معلمة، عن سعادتها بالقرار، مشيرة إلى أنه أدخل السرور إلى قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، خاصة الذين انتظروا انتهاء أزمة كورونا ليتمتعوا بأداء هذه الفريضة الإيمانية المهمة.

وقالت: للحج في حياة المسلمين جميعًا مكانة عظيمة، فهو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو العبادة التي تتجمع فيها الأمة الإسلامية من كل فج عميق على قلب رجل واحد، في مكان واحد، وزمن محدد، حيث يناجي الجميع ربه، لا فرق بين أبيض وأسود، أو غني وفقير، أو عربي وأعجمي.

وأوضحت أنه يكفي لإبراز هذه المكانة المهمة للحج في نفوس المسلمين أن هناك من يعيش عمره كله يستعد للحج، بأن يدخر على مدار سنوات طويلة، ما يستطيع السفر به إلى الأراضي المقدسة.

كما أعربت عن أملها في أن يمن الله تعالى عليها بالحج إلى بيته الحرام، والسلام على الرسول عليه الصلاة والسلام.

مشاهد إيمانية في
رحلة الحج

بقلم: د. أحمد عبد القيوم عبد رب النبي
الباحث في إدارة الدراسات

الحج إلى بيت الله الحرام رحلة روحية مباركة، وهي لحظةٌ فارقة في حياة المسلم، تَحمل في طياتها ذكرياتٍ خالدةً ومواقف شاهدة، تَرتقي بالحاج في مدارج الإيمان، وتسمو بنفسه إلى علياء اليقين والإحسان.

يستذكر الحاج على أرض عرفات وقوف النبيّ صلى الله عليه وسلم على صعيده الطاهر يَخطب في ذلك الجَمع العظيم، في اليوم المبارك، مُبتهلا لربّه بالذكر والدعاء والإنابة، رافعا يديه وقد سقَط زمامُ راحلته فأمسكه بإحدى يديه وهو رافعٌ اليد الأخرى، حتى لا يَنقطع حَبل الدعاء والاتصال بالملكوت الأعلى، جِدٌّ في العبادة، ولذّة في المناجاة، وإذعانٌ تام لله تعالى الذي "يُباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عِبادي، جاؤوني شُعثاً غُبراً".

فإذا ما تكحّلت العينان برؤية البيت الحرام فاضت بالدموع، وقد سبقَته دموع المحبّين، فقد استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحَجَر، ثم وضع شفَتيه عليه يَبكي طويلا، ثم

التفتَ فإذا هو بعُمر بن الخطاب يَبكي، فقال: "يا عُمَر: هاهنا تُسكَب العبَرات".

إنها رحلة إيمانية طاهرة، يتزوّد فيها الحاج بالفيوضات الربانيــة والنفحات الوجدانية، لأجلهــا يكدّ ويتعب، وفي ســبيلها يبذل الغالي والنفيــس، فيَهجُر الأهل والخِلّان، ويفارق العشــيرة والأوطان، متحمّلا الصعاب في ســبيل الوصول إلى أشــرف بقعة وأطهر مكان، رجــاء أن يَظفر برحمة الكريم المنّان، ويَحظى ببشــارة النبي عليه الصلاة والسلام: "الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة".

وقد ســجّلت كتــب التراث الإســلامي كثيــرًا من القصص المشــوّقة والمواقف المؤثّــرة التي حدثَت مع ضيوف الرحمن في موســم الحج وأيامه الفاضلة في البقاع الطاهرة، أو في أثنــاء طريقهم لحج بيت الله، وهذه المواقف والأحوال- في الجملة- لا تَخلو من عِبَر ومواعظ لا غناء للمجتهد عنها، لتكون نبراسا يضيء طريق كلّ مَــن أراد القُدوم للحج، والاقتداء بســلف هذه الأمّــة، فمَن رام الوصول إلى مراتب الســابقين العالية، فلْيحذو حذوَهم ويَسير على دربهم ويَقتفي أثَرهم، عندها تَنفتح على العبد أنواع المعارف الروحية والتجليــات الإيمانية، ويَشــعر بلذّة العبــادة وآثارها السلوكية الحميدة.

وفــي هذا المقال فيــضٌ من تلك المواقف والمشــاهد الإيمانية الخالدة المتضمّنة لجملــة من الأقوال المأثورة والحكيمة، أضعها بين يدي القارئ الكريم:

- حجّ عليّ بن الحســين، فلمّا أحرَم واستوَت به راحلتُه اصفرّ لونُه وانتفض ووقعَت عليه الرعْدة ولَمْ يَستطع أن يلبّي، فقيل له: لِمَ لا تلبّي؟ فقال: أخشــى أن يُقال لي: لا لبّيك ولا سَــعديك. فلمّا لبّى غُشي عليه ووقع عن راحلته، فلَمْ يزل يَعتريه ذلك حتى قضى حجَّه.

- كان عبد الله بن عمــر وعبد الله بن عباس يطوفان بالبيــت وكأنّ على رؤوســهما الطير تَخشّــعا، قال عطاء: طفتُ وراءَ ابن عمر وابن عباس فلَمْ أسمَع أحدا منهما يتكلّم في الطواف.

- كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يَجعل من الحج فرصــة للُقيا عمّاله ومحاســبتهم، وكان يكتب إلى عُمّاله أن يوافوه بالموســم، فــإذا اجتمعوا قام، فقال: أيها الناس إني اســتَعمَلتُ عليكم عمّالي هؤلاء ولم أســتعملهم ليُصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ولا مــن أعراضكم، ولكــن اســتعملتُهم ليَحجُزوا بينكم، أو يردّوا عليكم فَيئكم، فمَن كانت له مَظلمة عند أحد منهم فلْيَقُم، فما قام من الناس أحد.

- خرج عمر بــن الخطاب حاجا، فرأى ركبــا فقال: مَن الركــب؟ فقال: قالوا: حاجّين قــال: ما أنهزكم غيره؟ ثــلاث مرات، قالوا: لا. قال: لو يَعلــم الركب بمن أناخوا لقرّت أعينهم بالفضل بعد المغفرة، والذي نفس عمر بيده، ما رفعَت ناقة خُفّها، ولا وضعَته، إلا رفَع الله له درجة، وحط عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة.

- صلّــى عثمان رضي الله عنه بمِنــى أربعًا، فقيل عبدُ الله بنُ مســعود: صليتُ مع النبيِّ صلَّــى الله عليه وسلَّمَ ركعتَين ومع أبي بكرٍ ركعتَين ومع عمرَ ركعتين ومــع عثمان صدرًا مــن إمارته، ثم أتمَّهــا، ثم تفرقَتْ بكــم الطرقُ، فلوددتُ أنَّ لي من أربــعِ ركعاتٍ ركعتَين مُتقبَّلتَين، ثم إنَّ ابن مســعودٍ صلَّــى أربعًا، فقيل له: عِبتَ على عثمان ثم صليتَ أربعًا، قال: "الخلافُ شــرٌّ"، وفي رواية قال: "إني لأكره الخلاف".

- قــال رجل لابن عمر: "ما أكثر الحاج" فأجابه ابن عمر بقوله: "بل ما أكثر الرَّكْب، وما أقلّ الحاج"، ثم رأى رجلا علــى بعير، على رحْل رثّ، خطامــه حبْل، فقال: "لعلّ هذا".

- رأى عبد الله بن عمر رجــلًا يَحمل امرأة عجوزًا على ظهــره، ويطوف بها البيت الحرام، فســأله: مَن هذه؟ قال له: إنها أمّي، أتُراني قد وفّيتُها حقَّها يا ابن عمر؟ فقال له ابن عمر: والله مهمــا فعلتَ بها، فلن يَعدل ذلك طلقةً واحدة من طلقتها فيك ساعة ولادتها.

- كان ســالم بن عبــد الله بن عمر يطــوف بالبيت

ومعه في المطاف الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وما إن وقعَت عين الخليفة على سالم، وهو من علماء عصره؛ حتى سارع إليه مُمسكاً بيديه قائلاً: يا سالم ألك حاجةٌ؟، فبادره سالم بقوله: والله يا أمير المؤمنين إني لأستحيي أن أسأل غير الله وأنا في بيته، ويتركه الخليفة حتى يَفرغ من طوافه، حتى إذا كان خارج المطاف بعيدا عن البيت الحرام أعاد القول عليه: أليسَت لك حاجة أقضيها لك يا سالم؟ فقال له سالم: مِن حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا. قال: والله ما سألتُ الدنيا مَن يملكها، فكيف أسألها مَن لا يَملكها؟

- خطب عمر بن عبد العزيز بعرفة، فقال: إنكم قد جئتم من القريب والبعيد، وأنضيتم الظهر- أي: أتعبتم رواحلكم- وأخلقتم الثياب - أي: أبليتم ثيابكم -، وليس السابق اليوم من سبقَت دابته وراحلته، وإنما السابق اليوم من غُفر له.

- قال علي بن الموفق: حججتُ ستين حجة، فلمّا كان بعد ذلك جلستُ في الحِجر، أفكر في حالي وكثرة تَردادي إلى ذلك المكان، ولا أدري هل قُبل منّي حجّي أم رُدّ! ثم نمتُ فرأيت في منامي قائلا يقول لي: هل تدعو إلى بيتك إلا مَن تُحبّ! قال: فاستيقظتُ وقد سُرّي عني.

- قال الحسن بن عمران: حججتُ مع عمّي سفيان بن عيينة آخر حجة حجّها سَنة سبع وتسعين ومائة، فلمّا كنا بجَمْع وصلى استلقى على فراشه، ثم قال: قد وافيتُ هذا الموضع سبعين عاما أقول في كل سَنة: اللهمّ لا تَجعله آخرَ العهد من هذا المكان، وإني قد استحييتُ من الله من كثرة ما أسأل ذلك، فرجع فتوفي في سنة ثمان وتسعين ومائة.

- قال سفيان الثوري: أُدخلتُ على المهدي بمنى فقلتُ له: اتق الله فإنما أُنزلتَ هذه المنزلة، وصرتَ في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار؛ وأبناؤهم يموتون جوعا، حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر دينارا، وكان ينزل تحت الشجر، فقال لي: أتريد أن أكون مثلك؟ قلتُ: لا تكن مثلي، ولكن كن دون ما أنتَ فيه، وفوق ما أنا فيه! وفي رواية: قال سفيان: ما هذه الفساطيط؟ ما هذه السرادقات؟ حجّ عمر بن الخطاب فسأل كم أنفقنا في حَجّتنا هذه؟ فقيل: كذا وكذا دينارا - ذكر شيئا يسيرا - فقال: لقد أسرفنا.

– قال أبو إسحاق السبيعيّ: حَجّ مَسروق بن الأجدع، فما نام إلاّ ساجدًا.

– قالَ ضمرةُ بنُ ربيعة: حَجَجنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة، فما رأيتُه مضطجعًا في المَحمَل في ليل ولا نهار قط، كان يصلّي، فإذا غلبه النوم استند إلى القتَب.

– قال محمد بن إسحاق: قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجا، فاعتلّت إحدى قدميه، فقام يُصلّي حتى أصبح على قدَم، فصلى الفجر بوضوء العشاء.

– قَالَ ابنُ المبارك: جئتُ إلى سفيان الثوري عشية عرفة، وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تهمِلان، فالتفت إليَّ، فقلت له: مَنْ أسوأ هذا الجَمع حالاً ؟ قال: الذي يظنُّ أن الله لا يغفر لهم.

– كان شريح القاضي إذا أحرم كأنه حيّة صمّاء من كثرة الصمت والتأمل والإطراق لله تعالى.

قال أيوب السختياني: إن ممّا يزيدني رغبة في الحج وحضوره أن ألقى إخواني لي فيه لا ألقاهم في غيره، وقيل لعبيد الله بن عمر: أراك تتحرى لقاء العراقيين في الموسم، فقال: والله ما أفرح في سنَتي إلا أيام الموسم، ألقى أقواما قد نوّر الله قلوبهم بالإيمان، فإذا رأيتهم ارتاح قلبي، منهم أيوب السختياني. وقال أبو جعفر محمد الباقر: إنه ليزيدني في الحج رغبة لقاء عمرو بن دينار، فإنه كان يحبنا ويفيدنا.

– حج عبد الله بن جعفر – ومعه ثلاثون راحلة– وهو يمشي على رجليه، حتى وقف بعرفات، فأعتق ثلاثين مملوكًا، وحمَلَهم على ثلاثين راحلة، وأمرَ لهم بثلاثين ألفًا، وقال: أُعتقهم لله تعالى لعلّه سبحانه يُعتقني من النار.

– قال مصعب بن ثابت: لقد بلغني – والله – أن حكيم بن حزام حضر يوم عرفة معه مائة رقبة، ومائة بَدنة، ومائة بقرة، ومائة شاة، قال: هذا كله لله، فأعتق الرقاب، وأمَر بذلك.

– قال ابن عساكر: سمعت أن الخطيب البغدادي لمّا حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله ثلاث حاجات، أخذا بالحديث "ماء زمزم لما شُرب له" فالحاجة الأولى: أن يحدّث بتاريخ بغداد بها، الثانية: أن يُملي الحديث بجامع المنصور، الثالثة: أن يُدفَن عند بشر الحافي، فقضى الله له ذلك.

– كان عبد الله بن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويُقفل عليها، ثم يكتري لهم ويُخرجهم من مرو إلى بغداد، ولا يزال يُنفق عليهم ويُطعمهم أطيب الطعام وأطيب

الحلواء، ثم يُخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أمَرَك عيالُك أن تشتري لهم من المدينة من طُرَفها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يُخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجّهم، قال لكل واحد منهم: ما أمَرَك عيالُك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يُخرجهم من مكة فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صَنع لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسُرّوا دعا بالصندوق ففتحه، ودفع إلى كل رجل منهم صُرّته، بعد أن كتب عليها اسمه.

- كان عامر بن عبد قيس التميمي إذا أراد الحج وقف يتوسّم الرفاق، فإذا رأى فئة قال: يا هؤلاء.. إني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال، فيقولون:

ما هي؟ قال: أكون لكم خادما لا ينازعني أحد في الخدمة، وأكون مؤذّنا لا ينازعني أحد في الأذان، وأُنفق عليكم بقدر طاقتي، فإذا قالوا: نَعم، انضمّ إليهم، فإن نازعه أحد منهم شيئا من ذلك بحثَ عن غيرهم.

- حُكي عن معروف القاضي أن الحَجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يُحسن أن يدعو، فخشع قلبه وبكى، فقال بلُغته: اللهمّ إن كنتَ تَعلم أني لا أحسن شيئًا من الدعاء، فأسألك ما يطلبون منك بما دعوا، فرأى بعض الصالحين في منامه أنّ الله قَبِل حج الناس بدعوة ذلك التركماني لمّا نظر إلى نفسه بالفقر والفاقة والعجز.

- رأى الفضيل رجلا يسأل في الموقف فقال له: أفي هذا الموضع تسأل غيرَ الله عز وجل.

- وقف مطرّف بن عبد الله وبكر المزني بعرفة، فقال أحدهما: اللهم لا تردّ أهل الموقف من أجلي. وقال الآخر: ما أشرفه من موقف وأرجاه لإله لولا أني فيهم.

- يروى أن الإمام الحسن بن عيسى الماسَرجسي

النيسابوري (ت ٢٤٠هـ)، وهو أحد المحدثين الثقات، أنفَق في حجّته التي مات فيها: ثلاثمائة ألف درهم.

- كان محمد بن واسع يصلّي في طريق مكة ليله أجمَع في مَحمله، يومئ إيماء، ويأمر حاديه أن يرفع صوتَه خلفه حتى يُشغل عنه الناس بسماع صوت الحادي، فلا يُتَفَطّن له.

- كان الإمام أبو بكر الخطيب البغدادي يَختم القرآن الكريم في طريق الحج كل يوم ختمة كاملة بقراءة مرتّلة، ثم يَجتمع إليه الناس وهو راكب ويقولون له: حدثنا فيحدّثُهم.

- قال إبراهيم النخعي: كان يعجبهم إذا قدموا مكة أن لا يخرجوا منها حتى يَختموا القرآن بها، وقال أيضا:

قرأ علقمة القرآن في ليلة بمكة: طاف بالبيت سَبعا، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين، ثم طاف سبعا، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثاني، ثم طاف سبعا، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن.

- كان حكيم بن حزام يقف بعرفة ومعه مائة بَدنة مقلّدة، ومائة رقبة - أي: من العبيد- فيعتق رقيقه، فيضج الناس بالبكاء والدعاء، ويقولون: ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيدَه، ونحن عبيدك فأعتقنا من النار.

- يروى عن حفصة بنت سيرين العابدة أنه كان لها كفَن مُعدّ، فإذا حجَّت وأحرمَت لبسَته، وكانت إذا كانت العَشر الأواخر من رمضان قامَت من الليل فلبسَته.

- نظر الفضيل بن عياض إلى الناس وتسبيحِهم وبكائِهم عشية عرفة، فقال: أرأيتُم لو أنّ هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقًا - يعني سُدسَ درهم- أكان يردّهم؟ قالوا: لا، قال: والله لَلمغفرة عند الله أهونُ من إجابة رجل لهم بدانق.

- كان أبو شعيب السقّا يحج من نيسابور ويَحرم منها، ويصلّي عند كل ميل في البادية ركعتين، فقيل له في ذلك؟ فقال: إن الله تعالى يقول: "ليشهدوا منافع لهم"، وهذا منافعي في حجّي.

- يروى أن بُهَيْماً العجلي ترافق مع رجل تاجر موسر في الحج، فلما كان يوم خروجهم للسفر، بكى بُهَيْم حتى قطرَت دموعه على صدره، وقال: ذكرتُ بهذه الرحلةِ الرحلةَ إلى الله، ثم علا صوته بالنحيب، فكره رفيقه التاجر منه ذلك، وخشي أن يتنغّص عليه سفره معه بكثرة بكائه، فلما قدما من الحج، جاء الرجل الذي رافق بينهما إليهما ليسلِّم عليهما، فبدأ بالتاجر فسلّم عليه، وسأله عن حاله مع بُهَيْم، فقال له: والله ما ظننتُ أنّ في هذا الخَلق مثله؛ كان والله يتفضّل عليّ في النفقة، وهو معسِر وأنا موسر! ويتفضل عليّ في الخدمة، وهو شيخ ضعيف وأنا شاب! ويطبخ لي وهو صائم وأنا مفطر، ثم خرج من عنده فدخل على بُهَيم، فسلّم عليه، وقال له: كيف رأيتَ صاحبك؟ قال: خير صاحب، كثير الذكر لله، طويل التلاوة للقرآن، سريع الدمعة، متحمّل لهفوات الرفيق، فجزاك الله عني خيرا.

- قال أبو بكر بن العربي: كنت بمكة مقيما في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وكنت أشربُ ماء زمزم كثيرا، وكلما شربتُه نويت به العلم والإيمان، حتى فتح الله لي بركته في المقدار الذي يسَّرَه لي من العلم، ونسيتُ أن أشربه للعمل، ويا ليتني شربتُه لهما حتى يفتح الله علي فيهما، ولم يقدَّر، فكان ميلي إلى العلم أكثر منه إلى العمل، ونسأل الله الحفظ والتوفيق برحمته.

- قال ابن قيّم الجوزية: عندما كنتُ مقيمًا بمكة، كان يَعرض لي آلامٌ مزعجة بحيث تكاد تنقطع الحركة مني، وذلك في أثناء الطواف، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها على محلّ الألم، فكأنه حصاة تسقط، جرَّبت ذلك مرارًا، وكنتُ آخذ قدحًا من ماء زمزم، فأقرأ عليه الفاتحة مرارًا فأشربه، فأجد من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء.

- يقول ابن الجوزي: عرَض لي في طريق الحج خوفٌ من البعض، فسرنا على طريق خيبر، فرأيتُ من الجبال الهائلة والطرق العجيبة ما أذهلَني، وزادَت عظمة الخالق عز وجل في صدري، فصار يَعرض لي عند ذِكر تلك الطرق نوع تعظيم لا أجده عند ذكر غيرها.

- قال سَريّ: لقيتُ في طريق الحج جاريةً حَبشية، فقلتُ: إلَى أين؟ قَالَت: الحج، قلت: الطريقُ بعيد، فقَالَت: بعيدٌ على الكسلان، وأما المشتاقُ، فهو عليه قريب، ثم قَالَت: يا سَريُّ! "إنَّهُم يَرَوْنَه بَعِيدًا وَنَرَاه قَرِيبا"، فلما وصلَت إلَى البيت، رأيتُها تطوف كالفتى الشاطر، فنظرَتُ إلَيها، فقالت: أنا تلكَ العبدةُ، لمّا جئتهُ بضَعفي، حملَني بقوَّته.

- قال الدكتور قطب عبد الحميد في حديث له قُبيل طواف الوداع: "هذه الأيام التي قضيناها هنا هي زبدة الأيام وخلاصة العمر، وما سواها فأوهام ومنام".

أول من وثق مكة والحج بالصور

الرحالة الفرنسي المصور جول كورتلمونه

بقلم: محمد سعيد الغامدي

مدير إدارة الترجمة

يؤثر عن الشيخ حمد الجاسر ــ رحمه الله ــ قوله عن الرحالة الغربيين: "هناك فئة من الغربيين هي فئة الرواد من العلماء والمغامرين الغربيين، الذين كشفوا كثيرًا من معالم جزيرة العرب وآثارها، وعرفوا المجهول من مختلف أخبارها وأحوالها، وتوغلوا في مجاهلها مدفوعين بدوافع مختلفة، مستهينين في سبيل ذلك بجميع الأخطار والصعوبات، مهما بلغت من شدة وعنف، ضاربين أروع الأمثال بصبرهم وجلدهم وتحملهم لنمط من حياة الشظف والقسوة، قلّ أن يستطيع ابن الصحراء نفسه أن يجاريهم في تحمله في ذلك العصر" (صحيفة المدينة، ١ يونيو ٢٠١١م).

ثمة زيارات استكشافية لرحالة أوروبيين تحت غطاء أداء مناسك الحج أو العمرة أو الزيارة كونهم مسلمين جددا، وبقي بعضهم في مكة والمدينة عدة أشهر. ومن أجل تحقيق تقصٍ أفضل قاموا قبل قدومهم بتعلم اللغة العربية وإتقانها من خلال إقامتهم في بلدان عربية كانت تحت الهيمنة المباشرة أو غير المباشرة من قِبل دولهم (الاستعمارية) آنذاك، وخاصة في شمال إفريقيا أو بلاد الشام.

في مقدمة هؤلاء الرحالة الأوربيين الإيطالي البولوني لودفيكو دو فارتيما، الذي وصل إلى الحجاز بداية القرن السادس عشر، بالتحديد عام ١٥٠٣م، وسمى نفسه يونس المصري، لتسهيل دخوله وتحقيق أهدافه. ثم

أتى بعده جوزيف بتس (يوسف) نهايات القرن السابع عشر، الذي أدى فريضة الحج عام ١٦٨٠م ووصف صعود الحجاج إلى عرفات بأنه "مشهد عظيم".

لكن أول رحالة بالمعنى الحقيقي كان الدنماركي كارستن نيبور، الذي وصل الحجاز منتصف القرن الثامن عشر، أي سنة ١٧٦٢، ومكث فيها شهرين، فقدم صوراً وتوضيحات عن جدة والحرمين الشريفين، وخاصة توصيفاته عن نمط الحياة والبيئة.

بعده وبفارق ما يقرب الـ٥٠ عاماً أتى الرحالة الإسباني دومينقو باديا ليبليخ، وهو من سكان مدينة بلنسية الإسبانية، حيث وصل إلى مكة سنة ١٢٢٢ هجرية، الموافق لـ١٨٠٧م، جاء إلى الحجاز مدعيا أنه مسلم، وسمى نفسه علي بك العباسي، وقال إنه من سلالة بني العباس.

ليبليخ نجح في أن يكون أول من نقل للغرب فكرة

منظمة وصحيحة عن مناسك الحج، وعن مكة المكرمة، بل إنه هو أول من حدد موقع مكة المكرمة تحديداً دقيقاً. وقد يكون أول أوروبي تمكن من دخول جوف الكعبة، حيث شارك والي العثمانيين على مكة المكرمة في غسل الكعبة، فرسم مبخرة كانت بداخلها، وأيضا رسم ما بدت له ساعة بينما هي مزولة توضح أوقات الصلاة حسب زوال الشمس وضعت على لباس الكعبة. وقال عن الحج: "إن الإنسان لا يستطيع أن يكوّن فكرة عن ذلك المنظر المهيب إلا بعد الوقوف على جبل عرفات، فهناك حشد لا يُحصى لهم عدد، هم من جميع الأمم والألوان، أتوا رغم المخاطر والأهوال لعبادة الله، والكل يشعر بشعور الأخوة تجاه الآخر، يعدون أنفسهم أخوة بل أسرة واحدة".

أما الرحالة الألماني أولريخ ياسبر زيتسن فقد حج عام ١٨١٠، وزار المدينة ورسم خريطة لها، لكن ليس هناك تفاصيل عنه أو عن رحلته.

في عام ١٢٣٠ هجرية الموافق لعام ١٨١٤م بدأ عصر الرحالة الكبار مثل السويسري جون لويس بوركهارت، الذي سمى نفسه الحاج إبراهيم بن عبدالله الشامي، وفد إلى مكة المكرمة ضمن قافلة الحجاج النوبيين، وقد قدر عدد الحجاج ذلك العام بـ ٧٠ ألف حاج. تمكن بوركهارت من تقديم أدق المعلومات عن الحجاز وخاصة عن مكة للجمعية الإفريقية في لندن، بل إنه رسم خريطة لمكة وأخرى للمدينة كانتا دقيقتين رغم أنه لا توجد آنذاك وسائل لرسم الخرائط بدقة. ونذكر أيضا الرحالة البريطاني ريتشارد بيرتون عام ١٨٥٣، وقد وصل مكة متخفيا ومتخذا اسم عبدالله، لكن لم نجد تفاصيل أُخرى حول رحلته.

وهناك الرحالة الهولندي كريستيان سنوك هورقرونيه، الذي سمى نفسه عبدالغفار، فقد وصل إلى الحجاز عام ١٨٨٤م ودخل مكة عام ١٨٨٥م، كان مصورًا فاستطاع أن يوثق الحياة في الحجاز وخاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

فرنسا لم تكن غائبة عن هذا المجال، حيث دخلت على خط هذه المغامرات العلمية الاستكشافية للرحالة الأوروبيين، فكان رحالتها كثيرين ولكن البارزين منهم قلة، وأولهم موريس تامزييه، الذي أتى للحجاز عام ١٨٣٤ وقدم توصيفاً دقيقاً للحجاز والأماكن المقدسة بصفة عامة. ثم ليون روش عام ١٢٥٧هـ الموافق لعام ١٨٤١، أتى مكة في زي حاج مسلم وتسمى باسم

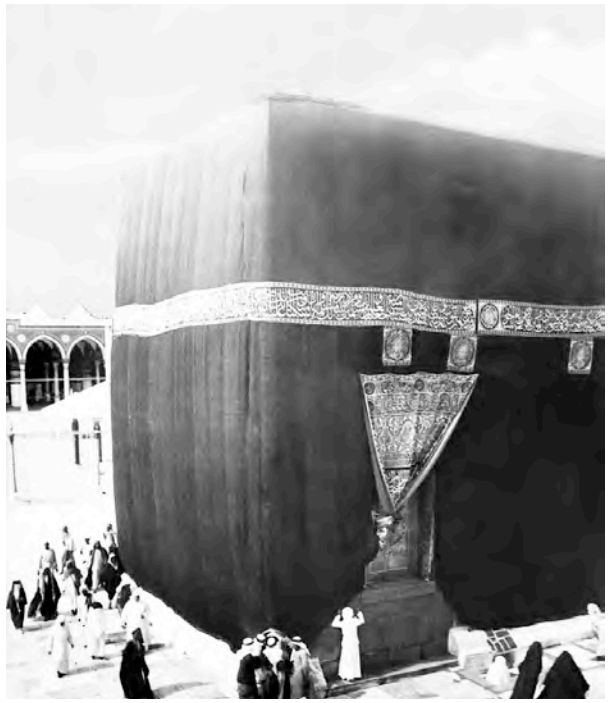

عمر بن عبدالله لكنه لم يحج، إذ جرى اعتقاله وأرسل إلى جدة ومن ثم عاد إلى بلاده.

ويبقى الرحالة الفرنسي جول كورتلمونه أكثر الرحالة الأوروبيين واقعية وتفهماً في هذا المجال، وهو مصور وكاتب فرنسي محب للشرق الأدنى والإسلام، ولد في فرنسا عام ١٨٦٣م. واستقرت أسرته في الجزائر عام ١٢٩٠ هجرية ١٨٧٤م، وقد كان لهذه الأسرة صديق اسمه لويس الفونس كورتلمونه Louis Alphonse Courtellemont.

بعد وفاة والده عام ١٨٦٨ تزوجت أمه السيد كورتلمونه، فارتبط جول بعلاقة قوية بزوج والدته لدرجة أنه اتخذ اسم كورتلمونه لقبًا له، وأصبح يوقع باسمه، أي "جول جيرفيه كورتلمونه"، وأحيانا فقط بـ "كورتلمونه"، كان أكثر تعلقا بالشرق، وهو موضوعنا الآن في هذه المقالة.

منذ نعومة أظفاره كان منجذبًا وهاوياً التصوير الفوتوغرافي وفن الرسم، ومارس التصوير حرفة له منذ عام ١٨٨٠، وقد جذبته الأماكن الإسلامية المقدسة مع نهايات القرن التاسع عشر بدايات القرن العشرين، فجسدها في صوره ولوحاته وكتاباته التي نشر كثيراً منها عام ١٨٩٧، ثم مع بدء استعمال التلوين بدءًا من عام ١٩٠٧م أعاد نشر بعض صوره. وقد حُصرت الصور الخاصة فقط بالمسجد الحرام وما حوله، فبلغت ٣٤ صورة؛ تُعتبر إنجازا في ذلك الوقت خاصة إذا عرفنا أن التصوير كان ممنوعًا، يضاف إلى ذلك أن المصور أجنبي يجب عليه الحذر، حيث توضع حوله علامات الاستفهام، وبذلك فهو حتما مراقب.

انبهر جول كورتلمونه بالشرق، وعبر عن حبه للشرق فقال "إنني أعشق الشرق ولون سمائه الأزرق، وأحب الإسلام في إيمانه الخالص، وأحب فيه الأمل الراسخ ... لقد ندبت نفسي في التعريف به لأجعل الناس يحبون بلاد الإسلام". جول أو (عبدالله البشير) هو أشهر رحالة مصور يلتقط صورًا جيدة معبرة في زمن مبكر خلال رحلته إلى منطقة الحجاز، وخاصة زيارته الأماكن المقدسة التي سجلها في كتابه "رحلتي إلى مكة" الذي صدر عام ١٨٩٦، وهو كتاب توثيقي مصور يجسد مشاهد نادرة للديار المقدسة ومناسك الحج، وصورًا أُخرى عن جدة وينبع، إضافة لكل ما أنتجه من صور ومواضيع عن الشرق بصفة عامة، كلها محفوظة في المتحف السينمائي بباريس، وفي المؤسسة الجغرافية الوطنية، وأيضا في متحف البير كان في مدينة بولون بيانكور اللصيقة بباريس. لقد اهتم جول كورتلمونه بالإسلام منذ شبابه وبالتحديد خلال وجوده في الجزائر، حيث الدين الإسلامي يُحيط به من كل جهة.

توافقت رحلته إلى الشرق الأدنى مع بداية عصر التقنيات وخاصة التصوير الفوتوغرافي وعصر السينما. فإضافة لحبه للتصوير كان محبا لفن الرسم، فصور لنا بالكاميرا وبالريشة صورًا ولوحات رائعة امتزجت فيها عدسة التصوير بالريشة والقلم، فتجسدت فيها مختلف مظاهر الحياة بطقوسها وبحركاتها وسكونها وظلالها وألوانها، يضاف إلى ذلك ما تحمله تلك الصور واللوحات من قيمة تاريخية ومعلومات توثيقية وتحليل لتلك الحقبة الزمنية في

منطقة الحجاز.

لقد تميزت رحلة جول كورتلمونه إلى الأماكن المقدسة، وكذلك صوره ولوحاته، بأنه كان من أوائل الأوروبيين القلائل الذين دخلوا الحرم المكي والحرم المدني والتقطوا لهما صورًا ولوحات غاية في الدقة، ومعبرة إلى درجة صعوبة التفريق بينها في جمالها وثراء مضمونها. جرأة في التصوير ودقة في المضمون ضمنا له الخروج بصور قلّ أن يكون لها مثيل آنذاك. ولا يفوتنا هنا التذكير بأن جول قد تمكن من دخول المدينة المنورة عام ١٩١٠م خلال حفل تدشين محطة سكة حديد المدينة المنورة، فكانت تلك الزيارة فرصة له لدخول المسجد النبوي الشريف والتقاط صور كثيرة معبرة وموثقة، موجودة في المتحف السينمائي بباريس.

إن كتاب جول جيرفيه كورتلمونه "رحلتي إلى مكة" يُعتبر من أهم وأميز كتب الرحلات من ناحية الأسلوب، فقد تميز بصوره المعبرة والمضامين الموضوعية عن الإسلام والمسلمين. هذا الكتاب يبقى من أفضل الكتب التوثيقية عن الإسلام في ذلك الوقت، وعن مكة وعن الحج وشعائره وأهدافه ودلالاته الإيمانية.

ورحلة كورتلمونه ليست مجرد سفر ومغامرة خطرة بل كانت رحلة استكشاف وتوثيق وطرح آراء، فاهتمامه بمكة المكرمة ليس فقط لأن مكة مركز العالم الإسلامي، بل إضافة إلى ذلك كان دخوله لمكة من المغامرات الصعبة في الفترة التي سبقت قيام المملكة العربية السعودية، حيث إن من يُنجز رحلة بهذه الجرأة والغزارة في المعلومات يكون قد فاز بالحياة بعد معاناة ومخاطر كانت ستؤدي به إلى الموت، يضاف إلى ذلك أنه تفشى آنذاك مرض الطاعون في منطقة الحجاز، ناهيك عن أن أغلب الرحالة الغربيين كانوا يُتهمون آنذاك بالعمل السري وجمع المعلومات لصالح حكوماتهم الاستعمارية، ووقتها كان الاستشراق قد بدأ يأخذ طريقه وينشط في منطقتنا.

أول خطوة اتخذها كانت تقديمه طلبًا للحاكم الفرنسي العام في الجزائر السيد كومبون، الذي وافق على رحلته إلى مكة، لكن على مسؤوليته، وأعطاه جواز سفر باسم عربي هو (عبدالله البشير). ومن ثم سافر إلى فرنسا لإجراء بعض الترتيبات، ثم توجه بعد ذلك في رحلة إلى قناة السويس لمرافقة المحمل المصري لكنه لم يوفق، فعاد إلى الجزائر، ومن ثم رحل من جديد عام ١٨٩٤ على الباخرة عبر بورسعيد في مصر ثم إلى مدينة جدة.

بعد وصوله إلى جدة اتجه إلى مكة المكرمة التي هي مقصده من الرحلة، فوصف رحلته ووسيلة النقل والمدة التي استغرقتها الرحلة، فقال "قبل الانطلاق توضأت ولبست ثوب الإحرام وأطلقت لحيتي وبدأت أتعلم اللهجة الحجازية وأنطق بها عندما أكون بينهم".

يقول: "بدأنا نتحرك صوب مكة فركبت حماري وكنت أنا حليق الرأس، فسارت قافلتنا تحت وهج الشمس الحارقة وبين الجبال الجرداء الشبيهة بالبراكين الخامدة وكأنها حبات سبحة طويلة، لقد كانت الطريق مخيفة بسبب كثرة قطاع الطرق، وقد توقفنا عدة مرات قبل وصولنا إلى مكة المكرمة". ووصف وقوفهم المؤقت في حدا في منتصف الطريق بن جدة ومكة، فقال: صلينا هناك جماعة ثم قُدم لنا الأكل، ومن ثم عاودنا السير ومرة أخرى وجدنا أنفسنا في المنخفضات والحفر السوداء فنمت وبدأت أحلم.

يقول قبل الدخول لمكة رأيت عمودين من الإسمنت يشيران إلى بداية حدود الحرم، ثم ونحن على أبوابها عند دخولنا مكة وجدتها مدينة تختفي بين جبلين يقتربان من بعض والحرم يتوارى في مكان ما أسفل المدينة. دخلنا مع الفجر الحرم الشريف مع مطوفنا عبدالرحمن بوشناق، فرأيت الكعبة المشرفة، كانت الساعة حينها السادسة فجرا، مع أول بصيص نور وردي أضفى على جميع الأشياء مسحة الصباح الندية. جلسنا في ساحة الحرم ينتابنا شعور الإجلال والحب، ثم شرعنا في أداء الصلوات.

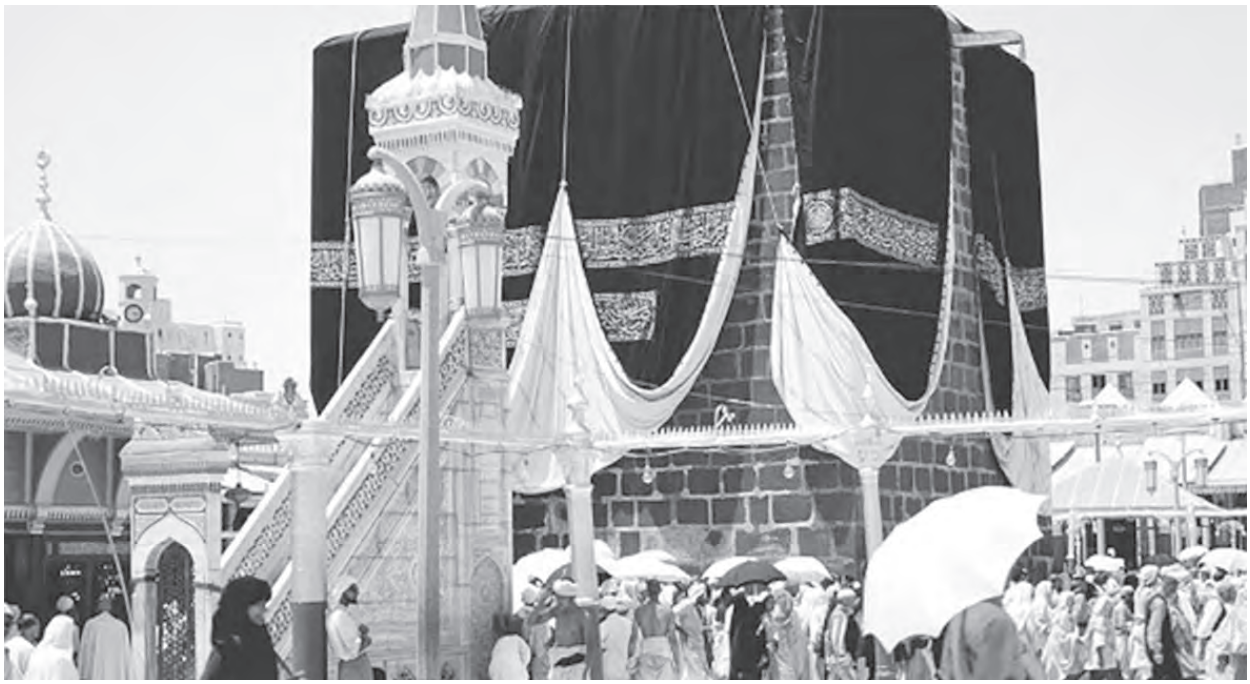

ويصف جول كورتلمونه طوافه حول الكعبة المشرفة فيقول: "تشرفت بتقبيل الحجر الأسود والطواف حول الكعبة". ووصف الحجر الأسود بأنه "يرتفع على مستوى قامة رجل، ومغلف بالفضة السميكة وهو في شكل بيضاوي تفوح منه رائحة العنبر". أيضا وصف المسعى والسعي فيه فقال "إنه سعي بين الصفا والمروة سبع مرات، بين جبلين مكشوفين يبعدان بعضهما عن بعض بنحو خمسمائة متر، ومجموع المسافة التي قطعناها خلال السعي تصل إلى نحو ٣٥٠٠ متر".

وعن منظر المصلين داخل الحرم يصفهم بأن: "هناك عشرون ألف مؤمن يتراصون في صفوف منتظمة، يقفون في ثبات وسكون، يعم الحرم الشريف صمت مطبق وتمتلئ القلوب بالإيمان: الله أكبر فيرد الجميع بصوت واحد خافت: الله أكبر فيتردد صداه في أرجاء الحرم".

لقد وصف جول كورتلمونه مكة وخاصة الحرم وصفا مفصلا ومزودا بكثير من الصور (محفوظة في متحف باريس). فالصور التي تمكن من أخذها تُعد من أوائل الصور حول مكة المكرمة وخاصة الصور البانورامية للحرم الشريف التي التقطها من أعلى جبل أبو قبيس ووضعها في كتابه. لقد تمكن من خلال الصورة والنص من وصف منازل مكة فقال: "جميع منازل مكة محاطة بأسوار منخفضة مبنية من اللِبن المصفوف على شكل مربعات منسقة بينها فراغات تسمح بمرور الهواء بحرية دون أن يكشف الجار بيت جاره. بل إنه كشف أن المكيين يصعدون آنذاك إلى أسطح منازلهم لينامو فيها وخاصة خلال فصل الصيف. السطح هو بمثابة شقة من دون سقف، وعند الحاجة توضع حواجز صغيرة للفصل بين الأسر: فصل الحرم عن الرجال. وإذا كان البيت كبيرًا فإن السطح يقسم إلى طبقات فيصبح على شكل مدرج لجعله أكثر ملاءمة. أحيانا السطح هو الأكثر متعة في البيت، فالناس في الليالي الهادئة ينامون فيه على الحصير، ولا يحتاج المرء إلى غطاء.

وقد وصف سكان مكة بأنهم خليط من كل أجناس المسلمين، وذلك بسبب موسم الحج الذي يجمع المسلمين كافة، حيث إن كثيرًا منهم يُحب أن يبقى في البلد الحرام ويبني فيها حياة جديدة، إضافة إلى أن هناك كثيرا من التجار الذين يأتون مكة للحج

والتجارة فيبقى فيها عدد منهم. وقد قدر عدد سكان مكة آنذاك بأنهم مائة ألف نسمة. وعن نوعية التركيبة السكانية قال إن غالبيتها من الوافدين، ٧٥٪ منهم هم من أبناء الهند. وتطرق إلى اهتمام أهل مكة بنظافة مدينتهم فقال "إنهم يهتمون بنظافة منازلهم وشوارعهم".

عن أسواق مكة وما فيها من بضائع، يقول كورتلمونه: "تنتظم المهن في أحيائها كما هو الحال في بقية المدن العربية. لقد ذهبت لشراء بعض الحاجيات وتمكنت من أخذ ورد وشريت حزاماً وعمامة وقطعة قماش، وفي اليوم التالي شريت من سوق العطور قليلاً من البخور وشيئا من زيت خشب الصندل والمسك، وفي آخر يوم من تواجدنا ذهبنا إلى حي صفائح الماء لشراء ماء زمزم للعودة بها إلى بلادنا. بالنسبة للحلي من خواتم وغيره فيتطلب ذلك بعض الصبر حيث ترى الصاغة المهرة يصنعون تحفا جميلة متقنة مثل سلاسل الذهب والفضة وأيضا الخناجر والجنابي ويضعون لها أغمدة فضية أو مذهبة. إن سوق الصاغة المكي مؤسسة حقيقية يديرها أحد كبار السن، يسمى شيخ الصاغة، يكون من قدامى محترفي المهنة". كذلك وصف البضائع التي تباع فقال إن أغلبها مستورد من أوروبا كالأقمشة والمواد الغذائية، وقال إنهم يبيعون السكر المكرر الذي يصلهم من مدينة مرسيليا ــ فرنسا.

يقول جول كورتلمونه "إنه بعد أن غادرنا مكة المكرمة متجهين نحو جدة بدأنا نشاهد سور جدة ودخلناها من باب مكة وهو أحد أبوابها الرئيسية، ومباشرة ذهبت إلى القنصلية الفرنسية وأرسلت برقية لأمي لأطمئنها عني". إن جدة هي البوابة التي وصل إليها جول جيرفيه كورتلمونه من أجل الذهاب إلى الأماكن المقدسة وهي أيضا بوابة مغادرته. فعند قدومه لجدة وأيضا قبل مغادرتها كان يتجول فيها ويلتقط بعض الصور، وقد وصفها بأنها "مدينة مبنية على ساحل البحر في منبسط رملي منخفض لا يوجد فيها أي تل، أسواقها مملوءة بالحيوية، فهي مركز تجاري كبير، وبيوتها محكمة البناء مزينة بأجمل أنواع المشربيات".

غادر كورتلمونه جدة نحو مدينة ينبع قبل عودته لبلاده فنزل فيها بعض الوقت، وقام بجولة في أسواقها وفي الميناء، ثم غادر إلى السويس ومنها سافر إلى فرنسا على متن سفينة نقل بحري في جو بارد ممطر. وهو على السفينة يقول إنه "عادت بي الذاكرة إلى صلوات المساء الجميلة في الحرم المكي الشريف في أروع الأوقات وخاصة بعد غروب الشمس، وكان يحضرني صورة الأفق الوردي وصور الحجاج وهم يطوفون بإيمان حول الكعبة".

هذا الكتاب ذو قيمة تاريخية وتراثية هامة، فهو مملوء بالصور والرسوم، تعطي المطلع عليها صورة جلية للحياة في ذلك الزمان، حيث نجد إضافة للصورة البانورامية للحرم المكي صورة لمدينة جدة ولسورها، وصورًا لحجاج المغرب وهم على متن السفينة، وصورًا للملابس التقليدية في الحجاز، وكذلك صورًا لبيوت مكة المكرمة.

أيضا يتضح لنا أن الكاتب سعى من خلال القلم والكاميرا إلى نقل الحركات والسكنات وبتجرد، وخاصة عما يتمتع به أهل هذه البلاد من كرم.

. لدرجة أنه تحدث عن شرب القهوة، فقال "نشرب القهوة، ويسمع الجيران قعقعة دقها في مهراس النحاس، فكان ذلك الصوت يقوم مقام الدعوة للحضور لتناول القهوة، بينما يُحضّر الشاي في صمت من دون صوت. أهل الحجاز شعب مضياف بشوش، وكان عليّ أن أتبادل معهم عبارات التحية والمجاملة، وشرب أعداد لا تُحصى من كؤوس الشاي التي كانت تقدم لنا حيثما ذهبنا". ووصف عادات أُخرى لا يزال بعضها حتى وقتنا الحاضر، كالحرص على امتلاك السُبح ولبس الزي المحلي، ونقل لنا ما كانت تتمتع به مكة من ازدهار في الصناعة، وخاصة صناعة المجوهرات والمعادن الثمينة، بل ومشاركة المرأة في العملية التجارية.

رحلة العبدري

خبر الرحلة إلى المشرق

بقلم: الزبير مهداد ـ المملكة المغربية

خلف الرحالة المسلمون كتبًا ورسائل وثقوا فيها لرحلاتهم ومشاهداتهم، فوصفوا المجتمعات التي زاروها وصفًا دقيقًا، وكذا ظروف حياة الناس، وعاداتهم، وسائر مظاهر حياتهم الثقافية والاجتماعية.

واجتهد الرحالة في تأمل أخلاق الناس وعاداتهم وطباعهم وسلوكهم ودراستها. وبذلك تضمنت كتب الرحالة نقدًا اجتماعيًا، لأنها رصدت المجتمعات والعادات وسلوكات الأفراد، وانتقدتها واقترحت البدائل وسبل الإصلاح.

والحجاج الرحالة، لم يخالفوا هذا التقليد الثقافي، فهم متدينون رحلوا لأجل أداء مناسك الحج، وإكمال دينهم، ولأنهم مثقفون، لم يتخلوا عن وظيفة النقد الاجتماعي فسعوا بدورهم إلى نقد الممارسات الاجتماعية انطلاقاً من مرجعية دينية ثقافية.

إن الحاج المثقف يمارس سلطة ثقافية، يستمدها بحكم منزلته، التي تكسبه إياها معرفته الدينية، والحظوة الاجتماعية التي نالها بصفته حامل علم شريف، فسلطته دينية ثقافية مؤثرة، ضمنها له تعليمه ومعرفته، كما أن حجه زاد من فرص اكتسابه سلطة اجتماعية حيثما حل، ما أهله لتقوية مكانته الاجتماعية ودوره الإصلاحي والتوجيهي.

والممارسة النقدية الجادة التي يمارسها المثقف تلعب دوراً مهماً في تطور المجتمعات وازدهارها للانتقال بها إلى حال أفضل، من خلال تسليط الضوء على مكامن الخطأ والخلل فيها بهدف الإصلاح والتقويم تحقيقاً للصالح العام، الذي يعود بنفعه على جميع أفراد المجتمع.

والسؤال الذي يطرح المقال، كيف تجسدت عملية النقد الاجتماعي في كتب الرحلة الحجية، وقد اعتمدنا في الإجابة عن السؤال على كتاب رحلة العبدري.

العبدري ورحلته

هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد العبدري، فقيه ولغوي وأديب ورحالة مغربي، من القرن السابع الهجري، تتلمذ على يد شيوخ مراكش، عاش في فترة تاريخية جد صعبة، فقد عرفت المنطقة أحداثا سياسية خطيرة، وصراعات على السلطة والحكم، تأثر بها العبدري، أيقظت فيه حساً نقدياً، جعله لا يغفل عن توجيه سهام النقد إلى المجتمع، والتنبيه إلى العيوب التي يلاحظها.

رحل العبدري إلى الحجاز وحدد غاية الرحلة في أداء الركن الديني بحج بيت الله الحرام، وزيارة الأماكن المقدسة، والاتصال بالصالحين؛ ولقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم. واستغرقت الرحلة قرابة ثلاث سنوات، زار فيها الحرمين، ثم عاد إلى بلده، بعد مكث طويل بتونس، التقى بعلمائها وأخذ عنهم.

دوَّن العبدري مذكرات حجه في كتاب رحلته قال في مقدمته: "فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه، إلى تقييد ما أمكن تقييده... مما سما إليه الناظر المُطرق، في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق، من ذكر بعض أوصاف البلدان، وأحوال ما بها من القطان، حسبما أدركه الحس والعيان، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان". وكان العبدري وفيا لمنهجه، إذ وصف البلدان، وعمارتها، وأهلها وعاداتهم وتقاليدهم، ولباسهم، فحلل أوضاع المجتمعات العلمية والاقتصادية والاجتماعية، فبرز ذلك من خلال نقده وتعليقه وسرده لها، الأمر الذي يدل على ذكاء وقَّاد للعبدري ومهارته التحليلية. وقد صدر الكتاب باسم "رحلة العبدري" عن دار سعد الدين بدمشق عام ١٩٩٩، بتحقيق علي إبراهيم كردي.

الرصد والنقد والظواهر الاجتماعية

باعتماد الشرع وأصوله، حدد الفقهاء الآداب الاجتماعية، وبينوا الشروط التي ينبغي أن ينضبط بها السلوك الفردي والاجتماعي، في الأماكن العامة والمؤسسات الدينية، والأسواق وغيرها، حتى يكون سلوك كل شخص مطابقا لنوع السلوك المعتبر خيرًا في نظر المجتمع والمراعي لأحكام الدين.

إلا أن عامة الناس، لا يراعون ذلك بدقة، لأسباب كثيرة، وقد رصد العبدري كثيرًا من الظواهر الاجتماعية، والمظاهر والسلوكات التي لا تتفق مع هذه المعايير، فانتقدها بشدة.

وقد وجه انتقاده إلى السلوك الديني للناس، وقبولهم للبدع، وضعف معرفتهم الدينية، كما انتقد السلوك الاجتماعي، من غياب احترامهم للمرافق الدينية، ونظافتها، وتبذيرهم للماء، وتزاحمهم في المناسك، وقلة تسامحهم مع بعضهم، ولم يفته أن يقدم بعض النصائح لتصحيح هذه المظاهر

الشائنة، وفيما يلي بسط لذلك.

السلوك الديني

اختلاف يوم الوقفة

يرى المحققون من أهل العلم أن الاختلاف في المطالع معتبر، فلا لوم على المسلمين في أن يختلفوا في بلدانهم في بداية الصوم ونهايته، وفي تحديد يوم عرفة ويوم العيد، ما دامت مطالعهم مختلفة. أما أهل البلد الواحد المتحد المطلع فيلزمهم أن يتحدوا في الصوم والعيد إذا رأوا الهلال أو أتموا الشهر، فيصوموا أو يضحوا في يوم واحد، ولا يصح أن يختلفوا ويتفرقوا في هذه الحالة. والحاج حين يحل بالحجاز، فإنه يصبح كأهل البلد، وعليه التزام ما يقرره أهل البلد بخصوص المطلع، ولا يصح له أن يخالفهم.

وقد أدان العبدري ما بلغه من اختلاف الحجاج في تحديد يوم الوقفة بعرفة، في واقعة مثيرة، حيث أصر بعضهم على الوقوف يوم الجمعة، بينما الوقوف الصحيح هو يوم السبت، لكن الذين اختاروا يوم الجمعة، فعلوا ذلك علانية، أخذتهم العزة بجهلهم، ولم يبالوا بصحة المنسك: "فوقف بعضهم يوم الجمعة، ووقف سائر الناس يوم السبت، وهو كان الوقفة، لكن أكثر الناس قد أغراهم الجهل بوقفة الجمعة... حتى صاروا إذا وجدوا أقل ذريعة، وأضعف سبب إلى تغيير الوقفة، فعلوا ذلك ليكون وقوفهم يوم الجمعة، وإن كان في غير موضعه، فيبطلون حجهم رياءً وسمعة، وكنت أتلمح لهم عذرا، وأقول: لعل فيهم من رأى الهلال تحسينا للظن بهم... وما قطع اعتذاري لهم إلا أن عرفني الحجاج غيرهم بأنهم لم يدعوا رؤية الهلال، وأن من يقتدى به فيهم قد سئلوا عن ذلك فلم يدعوا رؤيته، وإنما زعموا أنهم علموا ذلك عن غير طريق الرؤية، تسوراً على الجهل، وتكلفاً للفضول" (ص٣٩٠).

تفشي البدع

كما أبدى العبدري امتعاضه من تفشي بعض البدع في الحجاج، فبعض المبتدعين يقلدون غيرهم في البدع، كما يحصل عند الحرم المكي: "ويكونون في الطواف، فإذا جاؤوا إلى الركن تركوه إلى البدعة، فبعضهم في التزام الحجر، وقطع الوقت به لثمًا ولحسًا، وبعضهم في صب العفونات عليه، ومحاولة تنحيته، وباقيهم يتقاتلون على الدنو منه، ويشاهد هنالك من المناكر ما لا تحصره عبارة" (ص٣٧١).

كما ساءه ما يفعله الحجاج في غربي مقبرة بدر، في هضبة بها نُصُب يتمسحون به، ويتطارحون عليه، ويكثر زحامهم عنده، ويتكلفون الصعود منه إلى أعلى الهضبة، فيقاسون فيه شدة لضيقه، وقلما يتخلص منه الصاعد فيه حتى يأخذ بيده شخص آخر على الهضبة.

وبعضهم في تصديق بعض الخرافات، التي لا يدل عليها شرع ولا يشهد لها عقل، كمثل ما يروجه بعض الحجاج عن زيادة الماء في ليلة الجمعة، فتزيد بركته، فيزدحم الحجاج على البئر ويتقاتلون عليه، مذكرًا بأن هذا الأمر، قد أدركه الرحالة ابن جبير أيضا، والذي بادر للتحقق منه، فقاس الماء فوجده على حاله. لكن الحجاج تناقلوا الخرافة، وصدقوها، فقلد بعضهم بعضا.

وبعض البدع ناشئة عن جهل بالسيرة النبوية وبتاريخ الإسلام فيذكرون في ذلك أشياء ما لها أصل، ومن ذلك أنه في مكة، بجوار بدر، هناك شبه غار، يزعم بعض الحجاج، أنه هو الغار نفسه الذي دخله الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، حين هاجرا من مكة. ونفى العبدري أن يكون ذلك صحيحا، مؤكدا أن الغار الذي لجأ إليه الرسول موجود بجبل ثور قريبًا من مكة، وأن زعم الحجاج يدل على جهل كبير بالسيرة.

السلوك الاجتماعي

كانت نظافة الحرم مثار قلق العبدري، فلا شك في أن كثرة الحجاج، واختلاف عاداتهم، واجتماعهم في مساحة ضيقة محدودة، وما يتطلبه معاشهم

وإقامتهم وتنقلهم، كلها أمور تخلف ما تخلف من فضلات وأوساخ تلوث المكان، وتتسبب في إيذاء الحجاج.

إن الحس النقدي للعبدري جعله يستنكر ويشنع سلوك بعض الحجاج الذي لا يعبر عن احترام للأماكن المقدسة، التي يجب عندها لزوم السكينة، لهيبتها، واحتراما لسائر زوارها "حتى أن منهم من لم يبال بالبصاق وقتل القمل فيها، وإلقاء الوسخ في داخلها" (ص٣٧١).

كما أن استعمال الحجاج للدواب في التنقل، يتخلف عنه روث كثير يلوّث كثيرا من المواضع، بل إن بعض الحجاج كانوا يربطون دوابهم بالمقبرة لتمكث طيلة الليل: "فمررت عليهم حين أصبح وأنا داخل إلى مكة، فرأيت الروضة ممتلئة بالروث، وعاينت منظرًا شنيعا" (ص٣٧٢). ويضيف العبدري مستنكرا ما لاحظه بمسجد الخيف بمنى، على قدره ومكانته الدينية: "ورأيت بمسجد الخيف، طهره الله، بمنى من قلة تحفظهم، وكثرة تهاونهم، ما يتغير له قلب كل مؤمن، ورأيت في داخله العذرة، وأنواعًا من الكناسات والأقذار، ورؤوسًا مطروحة وجزارة أنتن بها المسجد، وهم يوقدون فيه النار، حتى اسودت حيطانه، وصار كالمطبخة" (ص٣٧٢). وكذلك الأمر بمسجد دار الندوة.

التدافع والعنف

في موسم الحج يستقبل بيت الله الحرام أعدادًا كبيرة من الحجاج، مختلفي الأعراق واللغات والألوان، مع حرصهم جميعًا على أداء المناسك في زمن محدود، فيحصل ازدحام شديد، وأحيانا كثيرة يكون الازدحام مصحوبًا بتدافع الحجاج للوصول إلى أماكن ذات اعتبار خاص، كالحجر الأسود، وباب الكعبة، وبئر زمزم، وقد لا يتحلى الجميع بالصبر وضبط النفس والتحمل، الأمر الذي يتولد عنه عنف بين الحجاج، يشتد مع اشتداد الزحام والتدافع. يزداد قوة بسبب أنانية بعض الحجاج وأثرتهم وسرعة انفعالهم. وقد انتقد العبدري ما تواطأ الحجاج عليه من التزاحم والتدافع والعنف الشديد، والتضارب، الذي يتأذى منه كثير من الحجاج، ويؤدي إلى تساقط النساء والرجال على بعضهم، والتحامهم الجسدي، الذي قد يتعارض مع أحكام الحج، التي تقتضي ورعًا وعفة وتقوى. يقول العبدري: "قلت: ولم ير عبرة من لم ير قتالهم على الركن الأسود، وعلى دخول الكعبة، ترى الرجال يتساقطون على النساء، النساء يتساقطن على الرجال، ويلتف البعض بالبعض، ويتأهبون للقتال، ويستعدون للدفاع والملاكمة، وقلما يتمكن أحدهم من الركن، فيفارقه حتى يثخن ضربا" (ص٣٧٠).

أما عند بئر زمزم، الذي يحظى بقدسية ومكانة روحية متميزة في وجدان المسلمين الحجاج، فقد استنكر العبدري تكلف الحجاج ما لم يرد به شرع، وتضيق عن الوصف، فيتقاتلون حوله على الماء، وبعضهم لا يكتفي بالشرب، بل يأخذ الدلو فيصبه على نفسه بثيابه، حتى يلوث الموضع (٣٧١). وتفاديًا لما لا يحمد، والتزاما لتعاليم الشرع، فقد نأى العبدري بنفسه عن دخول قبة زمزم، ولم يضاغط في دخولها، بل انتظر حتى يخف الضغط والازدحام حولها، ليقضي منها غرضه.

سلطة المعرفة

إن أزمة المثقفين هي فقدان القيمة الرمزية باعتبارها رأسمال تخوله أن يكون صاحب سلطة تأثيرية على الآخرين، على حد تعبير عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بورديو"، هذه السلطة تفقد خاصيتها وفاعليتها بسبب ظروف مختلفة، لعل سلطة التقليد والمسايرة والعادات الاجتماعية، بتزمتها، هي التي تقف في مواجهة سلطة المثقف المصلح، وتمنعه من تحقيق مشروعه، وتديم الانحرافات وخمول المجتمع. وهو ما يشرحه العبدري الذي لم يكتف بتسجيل الظواهر الاجتماعية أو الانحرافات السلوكية والبدع الدينية التي لاحظها أو عايشها، بل بذل جهده في سبيل الإصلاح، فكان يتصدى لما يلاحظه بالنصيحة، لكن نصحه لم يكن يتقبله الجميع، فيقابلونه بالجفاء "فكلمتهم، فقابلونا بالجفاء، فانصرفت" (ص٣٧٢).

الأبعاد الإيمانية في
فريضة الحج

بقلم: عبد الحميد محمد الراوي

كبير أئمة بوزارة الأوقاف المصرية

الحج مجمع العبادات ومنتهى الأركان، وهو العبادة الحقة التي تسمو بالفرد والمجتمع إلى مستوى رفيع من الكمال، فكل شعيرة من شعائر الإسلام منهج متكامل لتأصيل قيم الإسلام وأبعاده الحضارية، فالصلاة تحقق توازن الإنسان بين أبعاده الروحية والمادية والدينية والروحية، والزكاة تلائم بين أبعاده المادية والاجتماعية، وفي الصيام تحقيق رشيد لصحة الإنسان وسلامته في بدنه وروحه.

والحج باعتباره فريضة شاملة لكل العبادات استوعب أبعاد كل الفرائض، فإن مناسكه وأجواءه تعتبر حلقة تدريبية مكثفة في فترة زمنية محدودة لتمرين الحاج على معايشة أحكام الدين، ومقاصده في شكلها العام.

فهو فريضة روحية بدنية مالية، له شبه بالصلاة لما فيه من الوقوف والإحرام، وله شبه بالزكاة لما فيه من بذل المال، وله شبه بالصوم لما فيه من الكف عن محظورات الإحرام.

لذلك كانت المنافع التي شرعها الله وأباحها لعباده في الحج جامعة، تشمل المنافع الروحية والمادية، والاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والثقافية والتربوية، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) فجاء اللفظ نكرة ليدل على كثرة المنافع وتجددها وتنوعها، ومن أبرزها تغذية الروح وتزكية النفس وتقويم السلوك.

الحج دعوة ربانية لحياة جديدة

الحج فرصة للتغيير والاستقامة، وتجديد الحياة والتعلق بالأمل، وهو بذلك دعوة ربانية لحياة جديدة، فبه يغفر الله الذنوب ويزيل الخطايا، قال صلى الله عليه وسلم (حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن) (٢) فالحج يجدد حياة المسلم ويرفع من معنوياته ويقوي أمله في الحياة ويدعم حسن الظن بالله، ويغرس في النفس معنى العبودية الكاملة، وهو بهذه الأخلاق والآداب القائمة على أساس الوسطية والاعتدال، ساهم المسلمون إلى حد كبير في إرشاد العالم إلى الفضائل وتثبيت القيم، وتشييد الحضارة العالمية الخالدة على أساس الفضائل والقيم، فكان للإسلام فضل لا ينكر في تاريخ الإنسانية وفي تقدم الحضارة العالمية في نواحيها الروحية والمادية.

الحج سلوك حضاري

التوازن والاعتدال بين الروح والمادة، وبين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والجماعة توجيه رباني دعا إليه الدين الحنيف ليصلح ما أفسدته الأمم السابقة في خصوص هذه العلاقات، فالقرآن الكريم يدعونا إلى إقامة التوازن العادل بين مطالب الروح، ومقتضيات التركيب الجسماني، ويدعونا إلى عبادة الله وحده هذه العبادة التي تفتح الأمل وتوسع على الناس الحياة وتطلق النفس من قيودها المادية.

والحج بأحكامه وأبعاده منهج متكامل، إذا وعاه الحاج أدرك مدى حرص الإسلام على صياغة حياة الإنسان على أساس من التوازن والاعتدال، ونبذ أشكال الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط والتشدد، فهو دورة تدريبية تقام في أفضل زمان وأقدس مكان وأطهر بقعة على وجه الأرض لتأسيس الوسطية باعتبارها أساس الدين والدنيا.

فعبادة الحج تجعل الإنسان قريباً من ربه محبوباً عنده، ينعم بالسعادة النفسية والطمأنينة، تجعل الفرد سيد المادة لا عبداً لها حراً طليقاً لا أسيراً لشهواته وأهوائه، يستمتع بالحياة من غير إسراف، ويحيى حياة الاتزان، ويسلك سلوكاً يدل على اتزانه العاطفي والعقلي في جميع مجالات الحياة، إذ إن الغرض من العبادة هو سلامة المؤمن المتزن في عقله وسلوكه، فعندما يختل ميزان الاعتدال تنفلت الشهوات من الرقابة الروحية، ولو لم يكن للعبادة أثر في أخلاق الإنسان وتوازن طاقاته وصحته النفسية لكان ذلك دليلاً على أنها شكل بلا روح، لا سلطان لها على القلب أو الإرادة التي تحرك الأعضاء والأعمال.

قال صلى الله عليه وسلم (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) وقال تعالى (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً، فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (٤) فبينت الآيات أن الهدف من تشريع شعيرة الحج، هو تذكير المسلمين بحقيقة التوازن والاعتدال، في العبادة والحياة العامة وبينت لنا صورة واضحة لصنفين من الناس.

الصنف الأول: طالب دنيا ضيق الأفق كل همه الدنيا فلا يلتفت إلا إليها ولا يحرص إلا عليها، هذا النوع توعده الله بالخسران حين قال (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً) .

الصنف الثاني: رحب الأفق طالب دنيا وآخرة (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (٦) هذا النوع ملتزم بمنهج الله الوسطي الذي يقول (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا).

وفي السياق نفسه يحدثنا القرآن عن مظهر من مظاهر اللا توازن، واللا اعتدال يميل صاحبه إلى الإفراط حيناً والتفريط حيناً آخر، فقال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين).

ففي الصورة الأولى مطلب مشروع قائم على نظرة تعادلية لمطلب النفس والروح، ويحرص الحج على تأصيل هذه الحقيقة بين الحجيج، وفي الصورة الثانية انحراف وخروج عن الجادة والاستقامة، ووقوع رزيلتي الإفراط والتفريط.

الحج رحلة للتغيير وضبط النفس

الحج هو أفضل سبيل لمجاهدة النفس وترويضها على الطاعة وحب الآخرين، وضرورة التعايش معهم، فالنفس تأمر صاحبها بالسوء والتعلق بالدنيا، وتزرع فيه الأنانية وحب الذات دون مشاركة الآخرين في آلامهم وآمالهم، والحاج في تلكم البقاع الطاهرة يقاوم كل هذه النزعات الشريرة، ويتمسك بكل فضيلة، ويسعى إلى داعي الحق والخير، فيقبل على الله برغبة منه متشوقاً لما عنده من الأجر العظيم، فيتدرب على خشونة الحياة ليحقق انتصاراً على النفس، وعلى مادیات الحياة ومتعها، فالحج بهذا المعنى يلتقي مع سائر العبادات الأخرى، ليقاوم ما في الإنسان من أمراض نفسية كالأنانية وحب الذات والشح ليستعيضها بمحامد الصفات كالبذل والمحبة والتواضع والإيثار لترتقي النفس وتسمو عن الشهوات وحب الدنيا.

فالحج تدريب عملي على الحياة الفاضلة التي يريدها الإسلام، حياة الاستقامة والمنهج السوي، لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا تشدد ولا تسيب، فالحاج يلتزم بحسن الخلق اعتباراً لحرمة الزمان والمكان، يجاهد نفسه عن البعد عن كل ما يسخط الله، ويحرص على توطين نفسه على تجنب الرذائل والتعلق بالفضائل، يهجر الرفث والفسوق والجدال وكل ما فيه إيذاء لإخوانه، امتثالاً لقول الله سبحانه (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج).

والرفث: اسم جامع لكل فحش من الكلام وكل فعل ينافي أعمال الحج، والفسوق الخروج عن طاعة الله سبحانه، والوقوع في المعاصي، بل حتى الهم بالمعصية في الحرم فسق، يقول ابن مسعود: من هم بمعصية ولم يعملها تكتب عليه، ولو أن رجلاً هم أن يقتل رجلاً بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم والإثم.

والجدال: هو المخاصمة والمنازعة التي تورث الضغائن، فعلى الحاج أن يتذكر وهو يؤدي طاعة الله الإقلاع عن المعاصي، ويبادر إلى الأعمال الصالحة ويلتزم بحسن الأخلاق، قال صلى الله عليه وسلم (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

الحج رحلة سلام ومحبة

من فوائد الحج بناء النفس المسلمة على الموازنة بين الذاتية والجماعية، فالحج يساهم بأحكامه في إشاعة المساواة بين الناس جميعاً بقطع النظر عن ألوانهم وأجناسهم وأنسابهم، ويجمع شمل المؤمنين ويؤلف بين قلوبهم، ويحقق فيها التعارف على البر والتقوى، ويوفر الإخاء والمحبة والوئام والسلام، ويربط الإنسان بأمته، يعرف أنه ضعيف بذاته قوي بغيره فيساهم ضمن المجموعة التي ينتمي إليها في بناء وطنه والإقبال على العلم والعمل.

فالحج مؤتمر عام لتعارف المسلمين على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وتباعد أوطانهم وتوحيد غاياتهم وتوجيههم إلى مصادر الحياة الصحيحة، بما يقتبسه بعضهم من ثقافات البعض الآخر، ويبعث فرص تبادل المنافع الاقتصادية فيما بينهم.

التعايش السلمي

من أهداف الإسلام في الحج غرس حب السلام في النفوس، واستئصال روح الكراهية والبغضاء، وتوجيه الناس إلى أن يعيشوا إخوة متحابين، فالحاج أثناء الإحرام مطالب بأن يكون مسالماً، يترك الفسوق ويدع الجدال، ليس مع إخوانه من الحجيج فقط، بل مع كل الكائنات.

وبذلك يحقق الحج دوره في تزكية النفوس ونقائها، وإشاعة السلام بين الناس، يظفر ببشرى رسول الله (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .

الحج أمن وأمان

عندما يأتي شهر ذي الحجة يحمل معه ذكريات مجيدة تتعلق بتاريخ الإنسانية وصلتها بالله عز وجل، فهو يذكر بالبيت الذي وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين، ويذكر بموطن الرسالة الأولى للبشرية من قبل الله عز وجل، وهي رسالة الهدى وتوضيح الطريق الحق، من هذا البيت كانت بداية التوحيد والهداية، إنه المكان الذي اختاره الله بنفسه ليكون مسجداً يتقرب فيه المتقربون، ويتعبد إليه المتعبدون، سماه الحرام، لأنه يحرم فيه ما لا يحرم في غيره، فيه يضاعف الأجر، لقول عمر بن الخطاب (صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فيما سواه من المساجد).

لهذا السبب جعله الله مدار الحج ومنبع الأمن والأمان والسلام، والكعبة الحرام جعلها الله مثابة للناس وأمناً، أقام إبراهيم أركانه على هذا الاعتبار بمعية ابنه إسماعيل عليهما السلام، قال تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً)، وقال تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً) .

لذلك كان من الأدب أن يقول المحرم عند رؤيته للبيت الحرام (اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً ومهابة، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً) فمن دخله كان آمناً، ومن أفزع مؤمناً أو خوفه فيه فهو آثم إثماً عظيماً، لذا يحرم حمل السلاح فيه، لقول رسول الله (لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح)، والغاية المقصودة من ذلك تعويد المسلمين على قيمة الأمن كقيمة حضارية، والعمل على إشاعته بين الناس، وغرس حب السلم والسلام فيهم، وتحريم الظلم والاعتداء مهما كان نوعه، والمحافظة على الطبيعة بأشجارها وحيواناتها وسائر مكوناتها، فالمسلم صديق للبيئة محب لجميع الكائنات عاشق لجمالها ملتزم بقوانينها، كأن الحج تذكير سنوي بأهمية المصالحة معها، ليحيى الإنسان حياة الاتزان، ويسعد بالتنعم بخيراتها

ثقافة الحج

ودورها في البناء الحضاري للأمة

بقلم: الدكتور حسن عزوزي

كلية الشريعة - فاس

إذا كانت ثقافة الحج تذهب بنا إلى الماضي واستذكار المواقع التاريخية الأولى، فهي أيضاً عودة إلى صناعة المستقبل واستئناف الحضارة على ضوء عبرة الماضي، لأن التوغل في العمق التاريخي يقتضي حصول القدرة على تحقيق النقلة الحضارية وتغيير الواقع. وإذا كان من معاني الحج تذكير المسلمين بالبعد التاريخي لهذه الشعيرة وتلك المشاعر وما تحمل في طياتها من ذكريات ذات دلالات ومفاهيم سامية

فلأنه يعتبر وسيلة فعالة لبث الروح الإسلامية ذات الرؤية الحضارية للكون والحياة، وهو ما لا يتحقق إلا عن طريق استيعاب إمكانات الحج وتعميق مفهومه واستثمار التعدد الحضاري الثقافي للأمة عبر الاستفادة منه، لأن الحج يضع قضية الانتماء لحضارة الإسلام والوطن الإسلامي الكبير في إطارها الصحيح. ففي ظل ما تشهده أمتنا الإسلامية من تهديد في حضارتها وثقافتها من جراء تحديات العولمة التي تستهدف تنميط الشعوب واختراق خصوصياتها الثقافية ينبغي توظيف ثقافة الحج التي تشكل إحدى أبرز خصوصيات الأمة الإسلامية

في سبيل إعادة التأكيد على هوية الأمة وتعميق فهمها لذاتها وتحسين دورها في عالم اليوم.

وإذا كان مستقبل الحج المنشود هو تحقيق البناء الحضاري للأمة ونشدان العالمية الإسلامية بين الشعوب بمختلف مشاربها الثقافية والحضارية، وتجسيد التنوع في إطار الوحدة، فإن ذلك لا يتم إلا عبر التحكم في حاضر الحج وتفعيل جميع أسسه ومقاصده ومنافعه، لأنه كلما ازداد المسلم وعياً بمقتضيات بناء الحضارة واستئناف دورها ازدادت بصيرته انفتاحاً على عطاءات وفوائد شعيرة الحج.

بالمقابل يأتي إسهام ثقافة الحج في بناء الحضارة واستئنافها مؤسساً على دعائم إيمانية راسخة ومنطلقات إنسانية هادفة اعتباراً لكون البناء الحضاري الإسلامي لا يرتكز على الجوانب المادية والاقتصادية والعمرانية فحسب وإنما هو في ديننا وثقافتنا يتأسس ابتداء على أسس إيمانية وإنسانية.

أولاً: العبادات وأثرها في البناء الحضاري للأمة:

من المقرر أن العبادات في التصور الإسلامي تهدف إلى مقاصد كثيرة تسعى في مجملها إلى الارتقاء بالإنسان، ولذلك كانت مجالاً فسيحاً من قبل الكثير من العلماء والباحثين قديماً وحديثاً لاستقراء مقاصدها وأسرارها. وفي مقابل ذلك كان حديث العلماء عن دور العبادات في البناء الحضاري للأمة محدوداً.

إن المقصد الأسمى والغاية المثلى من تشريع الحج هو تحقيق العبودية الخالصة لله وحده دون سواه، ومن هنا أضاف الله سبحانه فرضية الحج لنفسه فقال: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا" (آل عمران ٨٧). فالحج إنما شرع لأجل الله واستجابة لأمره وتحقيق الخضوع والتذلل له سبحانه. قال الله تعالى: "وأتموا الحج والعمرة لله" (البقرة ١٣٦).

وإذا كان التأكيد دائما على أن المقصد الأول والبعد الرئيس من العبادات هو الامتثال لله والوفاء بحقه تعالى، فإنه لا ينكر أن وراء العبادات آثاراً بعيدة ومنافع جليلة تخدم بناء الحضارة الإسلامية وتسهم في جعلها حضارة ربانية ذات أسس إيمانية وإنسانية. ويعتبر الحج أكثر العبادات الإسلامية اشتمالاً على الأمور التعبدية، ولذلك اعتبره الرسول صلى الله

عليه وسلم من أفضل الأعمال والعبادات، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم أي: قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا، قال: حج مبرور. ولذلك يعتبر الحج أوضح العبادات أثراً في حياة المسلمين أفراداً وشعوباً، فهو من جهة ينمي النفس الإنسانية ليصبح الإنسان مالكاً زمام نفسه من أجل امتلاك خاصية البناء الفكري والحضاري، كما أنه من جهة أخرى يعتبر من أبرز وسائل تغذية العقيدة ونموها وتمكنها من النفس البشرية ليولد الإنسان الجديد الذي يناط به حمل الرسالة والإسهام في بناء الحضارة.

وبصفة عامة فالحج عبادة تنتظم من المسلم قلبه وبدنه وماله فتجعل منه إنساناً ذا نظر متجدد في الأبعاد الحضارية للحج، وليس ذلك لغيره من العبادات، لأن العبادات في الإسلام •بما في ذلك عبادة الحج- هي وسائل لتغذية العقيدة ونموها وتمكنها من النفس البشرية ليولد الإنسان الذي يناط به حمل الرسالة الخاتمة. ولذلك أراد الإسلام ألا تكون مبادئه وقيمه الاجتماعية والحضارية مجرد شعارات أو نداءات بل ربطها بعباداته وأركانه وشعائره ربطا وثيقا حتى تخط مجراها في عقل المسلم وقلبه فهما وشعورا ثم تخط مجراها في حياته سلوكا وتطبيقا والتزاما.

ثانياً: ثقافة الحج ومقاصدها في البناء والعطاء:

تشكل ثقافة الحج دعامة كبرى من دعائم الحضارة الإسلامية، وهي بما ترمي إليه من مقاصد وغايات تسهم في البناء والعطاء الحضاري للأمة، فعبر التاريخ الإسلامي أدت مؤسسة الحج أدواراً تجاوزت المجال الاجتماعي إلى المجالات السياسية والدعوية، ففي صدر الإسلام كان يرأس المسلمين في الحج أمير المؤمنين أو من ينوب عنه، ومن خلاله كان يتعرف على أحوال المسلمين من كافة الولايات، ويتبادل معهم الرأي ويشاورهم في شؤون الدولة، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتخذ من الحج سبيلا لإقامة العدل وبث روح الشورى وتعرف على شؤون الرعايا، كما كان يسأل الحجيج في كل إقليم عن مدى إقامة العدل من طرف ولاته.

إن استيعاب ثقافة الحج التي تمثل إحدى أبرز ميزات الأمة فرصة لإعادة التأكيد على هوية الأمة وتعميق فهمها لذاتها وتحسين دورها في عالم اليوم، وإذا

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عرف كيف يستعمل موسم الحج لتفعيل دور المراقبة لما يجري في مختلف الولايات التابعة للدولة الإسلامية الممتدة الأرجاء، فإن هذه الثقافة النابعة من قوة الاقتناع بجدوى التجمع الكبير أيام الحج من أجل استثماره في كل ما يسهم في البناء والعطاء

الحضاري للأمة ينبغي أن تبقى مستمرة تؤدي دورها في تحقيق ما يلي:

- استثمار التعددية الثقافية الإسلامية كأولوية مستقبلية لتعزيز النهوض الحضاري المنشود خاصة في ظل أجواء المنافسة الحضارية القائمة.

- تنمية العلاقات الإنسانية بين الشعوب من خلال التقاء الناس من ثقافات إسلامية مختلفة ومتنوعة يفترض أن تنصهر جميعها في وحدة تسمح للمسلمين بتحقيق معاني الأخوة والتعاون على الخير.

- تدارس مشكلات الشعوب الإسلامية والسعي إلى إيجاد الحلول العملية لها.

ويمكن القول بأن ثقافة الحج في تنوعها وازدهارها هي الثقافة الأولى التي غالبت دوما كل ضروب الاختلاف السياسي والتباين المذهبي والتنوع اللغوي في تاريخ الإسلام عبر العصور، وظلت تؤدي دورها الكبير في تحقيق منافع على مستوى البناء الحضاري لأبناء الأمة الإسلامية، تجمع الشتات وتعمق التواصل وتغذي التنوع الثقافي والحضاري بين مختلف البيئات. ولئن كان لرحلة الحج آثارها ومقاصدها الاجتماعية والاقتصادية الظاهرة على المجتمعات الإسلامية فإنه من المؤكد أن البعد الثقافي لرحلة الحج يأتي في المقام الأول. وتكفي الإشارة إلى ما خلفه هذا الركن العظيم من مصطلحات ثقافية وحضارية فاقت الوصف في دلالاتها، فصفة "الحاج" مثلا أضحت لقبا يحمل كل معاني الرفعة والسمو، وهو اللقب الذي يعني أن صاحبه خرج من بيته متجها إلى مكة المكرمة، وبذلك فهو يخفي وراءه شهادة قوية لها أكثر من بعد ثقافي وحضاري.

وهناك بعد ثقافي آخر يستشعره الحاج وهو يتنقل من مكان لآخر، ومن بقعة لأخرى أثناء أدائه الشعائر والمناسك، حيث ينتابه إحساس وشعور نفسي خالد وهو يسترجع محطات تاريخية زمانية ومكانية خالدة، فهو يرى بعينيه الأماكن التي قرأ عنها في السيرة والتاريخ الإسلامي، فهذا طريق الهجرة بصعوبته وخشونته وطوله، وهنا استشهد مجموعة من الصحابة، وهناك كانوا يصلون، وها هنا كانوا يجتمعون، وهنا وقف إبراهيم عليه السلام يدعو ربه... وهكذا، فإن من شأن هذه الرؤية أن تعمق معاني الإيمان بالرسالة في نفس الحاج وترسخ لديه ملامح ثقافة واسعة عن الحج، فيحمله كل ذلك على الدعوة للإسلام والتضحية من أجله. كما أن معايشة أيام الحج وشعائره في مكة المكرمة والمدينة المنورة وما حولهما تجعل المسلم الحاج يستحضر في خاطره بروحانية عالية أيام النبوة ويتذكر تضحيات الصحابة الملتفين حول رسولهم عليه السلام، ويتحسس جهود المسلمين الأوائل الذين أرسوا أسس هذا الدين الحنيف والتزموا بتعاليمه ونشروا فضائله.

وبذلك يمكن القول بأن ثقافة الحج التي يستوعبها جميع الحجاج • وإن بتفاوت ملحوظ وبمستويات إدراكية متباينة- تسهم بقوة في بناء الحضارة وتجديد دورها من أجل استئناف الحضور التاريخي والشهود الحضاري.

ثالثاً: تأكيد ثقافة حقوق الإنسان العالمية من خلال خطبة حجة الوداع:

وهو ما يظهر أثره واضحا في البناء الحضاري للأمة، فقد وضعت خطبة حجة الوداع نظاما متكاملا للمجتمع المدني يختلف كليا عن الأنظمة التي كانت سائدة في ذلك العصر، وهي أكبر شاهد على أن دولة الرسول صلى الله عليه وسلم تكونت من تنظيم اجتماعي متناسق من جميع أطرافه، حيث اعتنت بنود الخطبة وفقراتها بالفرد عناية فائقة وضمنت له من الحقوق ما يجعله يعيش بها إنسانيته في حرية وعزة وكرامة وكلفته بواجبات تجعل منه شخصا مسؤولا في المجتمع ينهض بالمهمات المنوطة به على مستوى الإسهام في البناء الحضاري للأمة.

ربّة السّتر

(الصرصري يشدو للكعبة المشرفة)

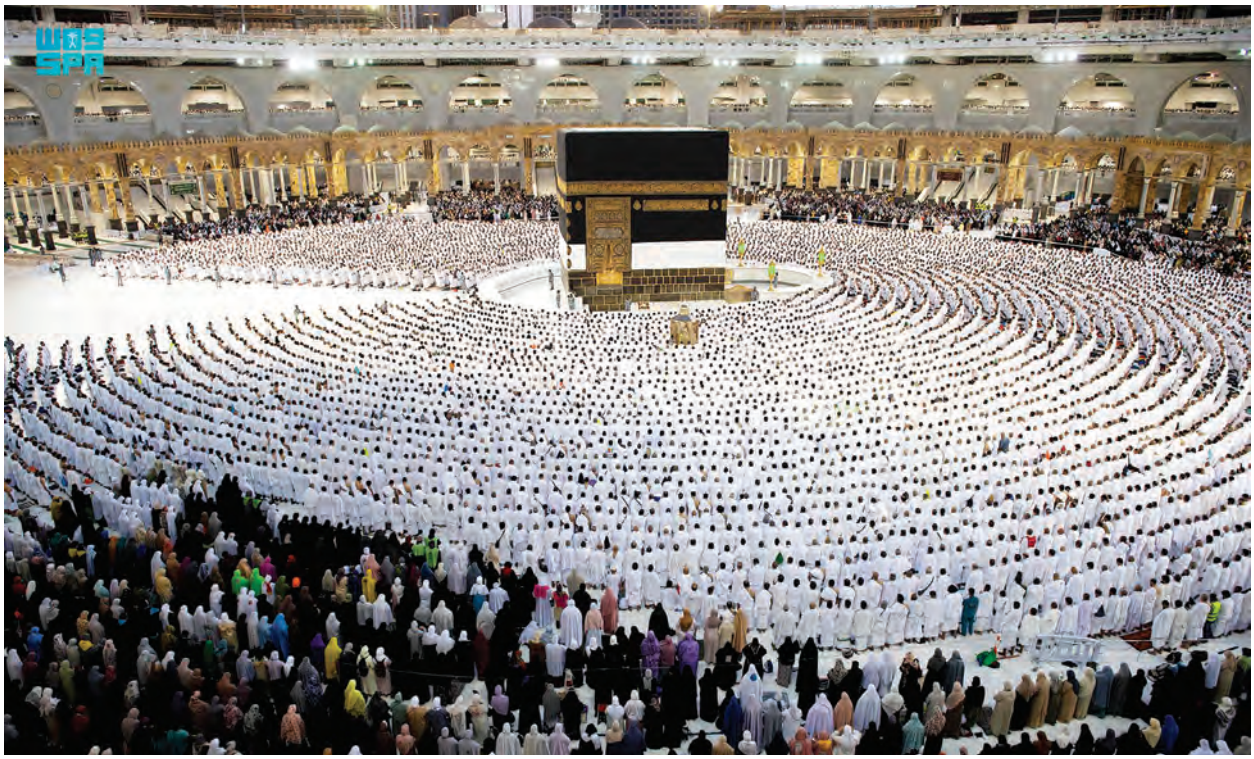

بقلم: أ. د. محمد وقيع الله أحمد
جامعة إفريقيا العالمية ـ السودان

عاش جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الأنصاري بين عامي (٥٨٨ – ٦٥٦هـ) في قرية صَرصَر، قرب بغداد، وثَّقه ابن قيم الجوزية، فوصفه بأنه: "حسَّان السنة في وقته، المتفق على قَبوله، الذي سار شعره مسيرة الشمس في الآفاق، واتفق على قبوله الخاص والعام أيَّ اتفاق، ولم يزل يُنشد في المجامع العظام، ولا ينكر عليه أحد من أهل الإسلام... الإمام في اللغة والفقه والسنة والزهد والتصوف". (انظر ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية لغزو المعطلة والجهمية، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، ص ٤٨٠).

ووثقه ابن كثير الشافعي، فوصفه بأنه: "الإمام العلامة البارع الفاضل في أنواع من العلوم، الفاضل المادح الحنبلي الضرير البغدادي، معظم شعره في مدح رسول الله ﷺ وديوانه في ذلك مشهور معروف غير منكر، ويقال: إنه كان يحفظ صحاح الجوهري

بتمامه في اللغة، وكان ذكياً يتوقد نوراً، وكان ينظم على البديهة سريعاً أشياء حسنة فصيحة بليغة، وقد نظم (الكافي) الذي ألفه موفق الدين بن قدامة و(مختصر الخرقي) وأما مدائحه في رسول الله ﷺ فيقال: إنها تبلغ عشرين مجلداً، وما اشتهر عنه أنه مدح أحداً من المخلوقين من بني آدم إلا الأنبياء.

ولما دخل التتار إلى بغداد دُعي إلى قائدهم كرمون بن هولاكو فأبى أن يجيب إليه، وأعدَّ في داره حجارة، فحين دخل عليه التتار رماهم بتلك الأحجار فهشم منهم جماعة، فلما خلُصوا إليه قتل بعكازه أحدَهم، ثم قتلوه شهيداً رحمه الله تعالى، وله من العمر ثمان وستون سنة". (عماد الدين بن كثير، البداية والنهاية، المجلد الثالث عشر، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٢١١).

وبجانب ديوانه الشعري ترك الصَّرصَري من الآثار الحسان منظومة دالية في الفقه الحنبلي، من قرابة ثلاثة آلاف بيت، بعنوان (الدرة اليتيمة والحجة المستقيمة) وقصيدة من نحو ثمانمائة بيت، في شرح مناقب رسول الله ﷺ.

تغنَّى الشاعر في مطلع القصيدة بالكعبة المشرفة، داعياً لها بالسُّقيا والخصب والرفعة والمجد ودنُّو الظلال، وفيه تذكَّر الشاعر أشجان أشجار البان، وشقشقة العصافير، وهديل الحمائم، وقد هاج ذلك التطريب أشواقه وجدد حنينه لزيارة بيت الله الحرام، ثم دعا الشاعر لماء زمزم في حمى البيت المحرم أن تبقى على نقائها ثرَّة تطفئ أوام الحجيج والعُمَّار، ثم ناجى الشاعر في رفق آسر وود غامر نسيم ربى نجد الذي حمل إليه نفحات البيت وجلب إليه شذاه.

يا ربَّة السَّتر لا اجابتْ غَواديكِ
عن جَوِّ مَغْناكِ أو يَخضرَّ واديكِ
وزِدْتِ في كلِّ يوم عِزَّةً وسَناً
ولا خَلا مِن رِجالِ الحَيِّ ناديكِ
لا زال مَرتعُكِ الدَّاني الظِّلالِ حِمىً
رَحْباً لعاكِفكِ الدَّاني وبَاديكِ
وأنتِ يا عَذَباتِ البانِ لا برِحَتْ
تَهيجُ أشواقَنا ألحانُ شَاديكِ
ومَاسَ من كلِّ غُصْنٍ منكِ من طَرَبٍ
عِطْفٌ وتِهْتِ دلالاً في تَماديكِ
ويا مِياهَ الحِمَى لا زِلتِ طيِّبةً
يُرْوَى بِشُرْبِ الزُّلالِ العَذْبِ صَاديكِ
ويا نَسيمَ صَبَا نَجْدٍ لقد عَرَفَتْ
رُوحِي بِمسْراكَ وَهْناً عَرْفَ مُهديكِ

ربة الستر في مطلع القصيدة: الكعبة المشرفة، وقد تشرف كساؤها الساتر بها.

الغادية: السحابة التي تنشأ صباحا.

اجْابَت السَّحابة: أي انكشفت وتبددت. المَغْنَى: المَنْزِل الذي غَنِيَ به أهْلُه ثم ظَعَنُوا. دعا الشاعر للكعبة المكرمة بالسُّقيا وانهلال القَطْر عليها؛ والدعاء بالسُّقيا هو في أصله دعاء بالخصب والرخاء والنعيم.

السَّنا: ضُوءُ النارِ والبرْقِ، وفي التهذيب: السَّنا: حَدُّ مُنْتَهى ضُوْءِ البرْقِ. تنادَوْا: أي تَجالَسُوا في النَّادي.

والنَّدِيُّ: هو مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه، فإذا تفرقوا عنه فليس بنَدِيٍّ.

والنَّادي: كالنَّديّ: أي المَجْلِس يَنْدُو إليه مَن حَوالَيْه.

يدعو الشاعر للكعبة المشرفة بالعلو والإشراق، ودوام حضور الزوار للطواف حولها والاعتكاف بربعها.

قوم مُرْتِعُون وراتِعُون: إذا كانوا مَخاصِيبَ. وفي الحديث الشريف: إذا مَرَرْتُم برياض الجنة فارْتَعُوا: أراد برياض الجنة مجالس ذكر الله تعالى، وشبَّه ترديد الذكر بالرَّتْع في الخِصْب، والتمرغ في النعيم. وفي حديث أُمّ زَرْع: في شِبَعٍ وريٍّ ورَتْع: أي تَنَعُّم. الدُّنُوُّ: مصدرُ دَنا يَدْنُو فهو دَانٍ، وسُمِّيت الدُّنْيا لدُنُوِّها، ولأنها دَنتْ وتأخَّرت الآخرة، وكذلك السماءُ الدُّنْيا هي القُرْبَى إلينا.

وفي تفسير قول الله تعالى: "وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا" قال الإمام محمد بن جرير الطبري إن معناه: "وقَرُبت منهم ظلال أشجارها". ثم قال: "وأُنِّثَتْ دانيةً لأن الظلال جمع".

عَذَبةُ الشَّجَرِ: غُصْنُه. شَدَا الرجل: إذا أنشَد بيتاً أو بيتين يمدُّ بهما صوته كالغناء. ويقال للمغني الشادي. وقد شَدا شِعْراً أو غِناءً: إذا غَنَّى أو ترَنَّم به.

يقصد الشاعر غناء العصافير وشدو القماري

المتعلقة بأشجان البان.

المَيْس: التَبَخْتُر. وغصن ميَّاسٌ: أي مائلٌ. قال الليث: المَيْسُ ضَرْب من المَيَسانِ في تَبَخْتُرٍ وتَهادٍ؛ كما تَميس العَروس والجمل. وربما ماس الجمل بهَوْدَجه في مَشْيه؛ فهو يميس مَيَسانا، وتَمَيَّس مثله. والمَيْسُون: المَيَّاسة من النساء، وهي المُخْتالة.

عِطف: جانب.

وقال ابن بري: العَطَفةُ اللبلاب، سمي بذلك لتلويه على الشجر. ودَلُّ المرأة ودَلالُها: تَدَلُّلها على زوجها، وذلك أَن تُريه جَراءةً عليه في تَغَنُّج وتَشَكُّل، كأَنها تخالفه وليس بها خِلاف.

ما زال الشاعر يخاطب أغصان البان؛ داعيًا لها بدوام الميْس والتبختر والدلال.

الماء الزُلال والزَلِيل: السريع النزول والسهل المَرِّ في الحلق. وماءٌ زُلالٌ: بارد، وقيل: ماءٌ زُلالٌ وزُلازِلٌ: أي عَذْب، وقيل: صاف خالص، وقيل: الزُّلال الصافي من كل شيء.

قال ذو الرُّمَّة:

كأَنّ جُلُودَهُنّ مُوَّهات
على أَبشارها ذَهَبًا زُلالا

واسترجع الشاعر في المقطع الثاني من القصيدة ذكريات حج سابق له، واستعاد ذكرى ليالي حب دفين وعشق مكين صرفها في الحرم المقدس ونواحيه، وتذكَّر أيام وَجْد عاصف في رحاب الخَيْف من مِنى، وعهود أنس عذاب قضاها مع إخوانه في الله تعالى من حجيج البيت المبارك.

عَرُفَ الرجلُ: إذا أَكثر من الطِّيب، وعَرِفَ إذا تَرَكَ الطِّيب. وفي الحديث الشريف: من فعل كذا وكذا لم يجد عَرْف الجنة: أي ريحَها الطيِّبة. وفي حديث عليٍّ رضي الله تعالى عنه: حبَّذا أرض الكوفة أرضٌ سَواءٌ سَهلةٌ معروفة؛ أي طيِّبة العَرْف.

أحسَّ الشاعر، وهو في نَجْد العراق، مسرى نسيم الكعبة الذي نقل عَرْفها إليه هناك!

ويا لياليا.. لله عيشُ هوىً
مع البُدُورِ تَقَضَّى في دَآديك

ويا فوارطَ أيامي بخَيْفِ مِنَىً
لو كان يُفدَى زَمانٌ كنتُ أَفديك

ويا رَسائلَ وَجْدٍ لا أبوحُ بها
إلى الأَحبةِ عندي من يُؤديك

أُخفيك عن عُذَّلي صَوْناً وتَكرمةً
بل المدامعُ والأنفاسُ تُبديك

ويا رِكابَ الحِجازِ القَوْدَ لا نقبتْ
من السُّرَى أبداً أَخْفافُ أيديك

ولا عدَلْتِ عن النَّهجِ القَويم ولا
مَالتْ إلى غيرِ أَحبابي هواديك

ونِلتِ ما شِئتِ من وِرْدٍ ومن كلأٍ
ولا نَبَا السَّمعُ عن تَغريدِ حاديك

كم ذا التَّمادي ذَري التَّعليلَ وابتدري
إلى الحِمَى فعَنائي في تَماديك

سيري فأنوارُ أقمارِ الحَامِلِ إنْ
حَارَ الأدلَّةُ في البيْداءِ تَهديك

الدآدئ: ثلاثُ ليالٍ من آخر الشهر قبل ليالي المحاق، والمحاقُ آخرُها: سُمِّينَ دَآدِئَ لأَن القمر فيها يُدَأْدِئُ إلى الغُيوب أَي يُسْرِعُ، من دَأْدَأَة البعير. قال الأَصمعي: في ليالي الشهر ثلاثٌ محاقٌ وثلاثٌ دَآدِئُ؛ قال: والدَّآدِئُ: الأَواخر، وأَنشد:

أَبْدَى لنا غُرَّةَ وَجْهٍ بادِي
كَزُهْرَةِ النُّجُومِ في الدَّآدِي

يتذكر الصَّرصَري في ولهٍ مشتدٍّ ووجد محتدٍّ ماضي هوىً للتعبد قديم قضى حقه في ليالي البدور هناك.

فوارط: سوابق. الخَيْف: ما ارتفع عن موضع مَجرى السَّيلِ ومَسيلِ الماء وانْحَدَرَ عن غِلَظِ الجبل. قال قيسُ بن ذريح:

فَغَيْقَةُ فالأَخْيافُ أَخْيافُ ظَبْيةٍ
بها مِنْ لُبَيْنَى مَخْرَفٌ ومَرابعُ

ومنه قيل مسجد الخَيْف بمنىً؛ لأَنه في خَيْف الجبل، وخَيْفُ مكةَ موضع فيها عند منىً، سمي بذلك لانحداره عن الغِلَظِ وارتفاعه عن السيل.

ومسجدُ منىً يسمى مسجد الخَيْف لأَنه في سَفْح

جبلها.
البَوْحُ: ظهور الشيء. وباحَ الشيءُ: ظهر. وباحَ به: أَظهره. وباحَ ما كَتَمْتُ، وباحَ به صاحبُه، وباحَ بِسِرِّه: أَظهره.
العَذْل: اللَّوم. والعواذِل من النساء: جمع العاذِلة ويجوز العاذِلات؛ وقال ابن الأَعرابي: العَذْل: الإِحْراق؛ فكأَنَّ اللائم يُحْرِق بعَذْله قلبَ المَعْذول.
وأَنشد الأَصمعي: لوَّامةٌ لامَتْ بلَوْم شِهَب. وقال: الشِّهَب: أَراد الشِّهاب كأَنَّ لَوْمها يُحْرِقُه.
الرِّكابُ: الإِبل التي يُسار عليها، واحِدَتُها راحِلَةٌ، ولا واحِدَ لها من لَفْظِها، وجمعها رُكُبٌ، بضم الكاف، مثل كُتُب؛ وفي حديث النبي ﷺ: إِذا سافرْتُم في الخِصْب فأَعْطُوا الرِّكابَ أَسنَّتَها. أَي أَمْكِنُوها من المَرْعَى.
وجاء في صحيح مسلم: "إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السنة فأسرعوا عليها السير، وإذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل".
القَوْدُ: نقيض السَّوْق. يَقُودُ الدابَّة من أَمامها ويَسُوقُها من خَلْفها. فالقَوْدُ من أَمام والسَّوْقُ من خَلْف. والقَوْدُ: الخيل التي تُقادُ بمَقاوِدها ولا تركب، وتكون مُودَعَة مُعَدّة لوقت الحاجة إِليها. يقال: هذه الخيلُ قَوْدُ فلان القائد، وجمع قائد الخيل قادَة وقُوَّاد، وهو قائد بَيِّن القِيادة، والقائِدُ واحد القُوَّاد والقادة؛ ورجل قائد من قوم قُوَّد وقُوَّاد وقادة.
نَقِبَ البعير: إِذا رَقَّتْ أَخْفافُه. السرى: السير ليلا. بلغ من رقة عواطف الشاعر أن دعا للإبل بالسلامة من وعثاء السفر!
عدل عن الشيء: حاد عنه. الهادِية: العُنُق لأَنها تَتَقَدَّم على البدَن ولأَنها تَهْدي الجَسَد.
قال الأَصمعي: الهادِيةُ من كل شيء أَوَّلُه وما تقَدَّمَ منه. ويقال: أَقبلت هوادي الإبل: حينما تظهر أَعناقها.
دعا الشاعر للإبل أن تستقيم على السير القاصد، وألا تقصد في مسيرها إلا منازل أحبابه الكرام.
الوِرْد: الماء الذي يُورَد. نَبا عن الشيء: زايَلَه. ونَبا بي فلان نَبْواً: إِذا جَفاني. والنَّبْوة: الجَفْوة. حَدَا الإِبلَ: زَجَرَها خَلْفَها وساقَها. وحَادَتْ هي: حَدَا بعضُها بعضا. ورجلٌ حادٍ وحَدَّاءٌ. والحَدْوُ سَوْقُ الإِبل والغِناء لها
دعا الشاعر للإبل بالخصب الهنيء مع التمتع بصوت حاديها الشجي.
المادَّة: الزيادة المتصلة. ومَدَّه: أَي أَمهلَه وطَوَّلَ له. عَلَّلَه بطعام وحديث ونحوهما: شَغَلَهُ بهما. يقال: فلان يُعَلِّل نفسَه بتَعِلَّةٍ. وتَعَلَّل به أَي تَلَهَّى به وجَزَأَ. وعَلَّلت المرأَةُ صَبِيَّها بشيء من المَرَق ونحو ليَجْزأَ به عن اللَّبن.
قال جرير:

تُعَلِّلُ وهي ساغَبَةٌ بَنِيها
بأَنفاسٍ من الشَّبِم القَراحِ

بَدَرْتُ إِلى الشيء: أَسْرَعْتُ، وكذلك بادَرْتُ إِليه. يلوم الشاعر الإبل لتباطئها في السير ويحثها على الإسراع حتى يبل شوقه بلقاء الأحباب.
المحمل: وزان مجلس الهودج. يهوِّن الشاعر على الإبل مشقة السير، ويطمئنها أنها لن تضل طريقها في اختراق البيد طالما اهتدت بأنوار المحامل.
وبعث الشاعر رسائل ذات أسرار محجَّبة إلى الكعبة المستَّترة قائلا إن عنده رسلا مؤتمنين يؤدونها إليها بعيداً عن أعين الرقباء العاذلين المُفنِّدين.
ثم ما عتَّم هذا العاشق المتيَّم أن هتك أستاره، وفضح أسراره، بظاهر حَرِّ أنفاسه المستعرة، وهتْن دموعه المنسكبة، ولعل رسل الشاعر كانوا من ضمن الركاب الحجازي لذا دعا له بالسلامة من أوضار التَّسيار، ودعا له بالهداية والاستقامة وبلوغ الغاية.
وقد تأججت مشاعر الشاعر، وفاضت أشواقه للتشرف بزيارة مسجد رسول الله ﷺ فناجى قباب جبل سَلْع، التي رما سلف له أن تلقى العلم أو قضى شطراً من عمره يتعبَّد في شعابها، ولذا نسب إليها أنها فتحت عينيه بالرشد بعد عمى.

ويا قِبابَ حِمَى سَلْعٍ حَوَيْتِ على
رِقِّي بما أَسلفتُ عِندي أياديك
فَتَحتِ بالرُّشدِ عن عَينيَّ بعدَ عَمىً
وأَسمعَ السَّيرَ من قلبي مُناديك

حـــقٌّ علـيَّ أُوالِـــي مَن بِـــكِ اعتلقتْ
أسْـــبابُه وأُعـــادي مـــن يُعـــاديك
إنِّـــي وإنْ تـــكُ أضْحـــتْ عنـــكِ نازحـــةً
دَاري لأرْعَـــى بظَهـــرِ الغَيـــبِ وُدِّيـــك
لا زالَ سُـــكَّانُكِ القُطَّـــانُ فـــي دَعَـــةٍ
وفـــازَ رائحُـــكِ السَّـــاري وغـــاديك
وأنـــتِ لا تَجْزَعِـــي يـــا نفـــسُ مـــن بِدَعٍ
مُضِلَّـــةٍ ورسُـــولُ اللَّه هـــاديك
أجـــارِكِ اللهُ لـــولا دِرعُ سُـــنَّتِه
لكان سَـــهمُ الهوى الفتَّانِ يُـــرديك
لا تُخلِفِـــي موعِدِي في حِفظِ مَنهجِها
فلستُ أُخلِفُ في حِفظَيْه وَعْـــديك

سَـــلْع: موضع بقرب المدينة، وقيل: جبل بالمدينة. قال تأبط شرّاً:

إنَّ بالشِّـــعبِ الـــذي دُون سَـــلْعٍ
لَقَتِيـــلاً دَمُـــه مَـــا يُطَـــلُّ

ما بـــرح الصرصري يذكر أيامه المجيـــدة الحميدة التي طالما احلولت في تلك الرحاب العامرة.

وما زال قلبه واجفاً يهفو ويكاد يطير شوقاً إلى قباب المدينة المشعة ألقاً وضياءً ونوراً.

عَلِقْـــتُ فلانةَ عَلاقةً: أي أحببتها. وعَلِقَتْ هي بقلبي: أي تشبثتْ به. قال ذو الرُّمة:

لقـــد عَلِقَتْ مَـــيٌّ بقلـــبي عَلاقةً
بَطيئـــاً علـــى مَـــرِّ الليالـــي انْحِلالُها

واعْتَلَقَهُ: أي أحبه. من أمارات حب الشـــاعر للمدينة المنـــورة، ومن دلائل ولائه لله تعالى، ولرســـوله ﷺ أنه أضحى يحب كل من تعلق قلبه بقباب ســـلع، ويَقلَى من يقليها، ويبادله العداء والشحناء.

نَزَحَ الشيءُ: بَعُدَ. وقد أنشد ثعلب:

إنَّ المَذَلَّـــــةَ مَـــــنْزِلٌ نُـــــزُحٌ
عـــن دارِ قَوْمِـــكِ فاتْرُكِـــي شَـــتْمِي

وقال أبو ذؤيب الهُذَلي:

وعَيَّرَهـــا الواشـــونَ أنّـــي أُحِـــبُّها
وتِلـــكَ شَـــكاةٌ نَـــازِحٌ عَنـــكَ عَارُهـــا

ونَزَحتْ الدارُ فهي تَنْزِحُ نُزُوحا: إذا بَعُدَتْ. يقول الشاعر إنه يحفظ عهـــد الود والحب للمقام الشـــريف رغم تنائي داره عنه.

القَطِين: السُّـــكّان في الدار. ومُجاوِرُو مكة: قُطَّانُها. ومنه حديث زيـــد بن حارثة: فإني قَطِـــينُ البيت عند المَشـــاعِر. وحَمامُ مكة يقال لَهـــا: قَواطِنُ مكة: قال رؤبة: فلا وَرَبِّ القاطِناتِ القُطَّنِ. دَعْدَع الشيءَ: حرَّكه حتى اكْتَنَز: كالقَصْعة أو المِكْيال ليَسَعَ الشيء، وهو الدَّعْدعةُ: قال لبيـــد: المُطْعِمون الجَفْنةَ المُدَعْدَعَهْ: أي المَمْلوءة. ودَعْدَعَها ملأها من الثريد واللحم. ودَعْدَعْتُ الشيءَ: ملأته. الفَوْزُ: النَّجاءُ والظَّفَرُ بالأُمْنِيَّة والخير. الساري: السائر ليلا. الغادي: السائر صبحا.

يدعو الشاعر لسكان المدينة بالسعة وخفض العيش وغضارة النعيـــم، ويدعو لقاصـــدي رحابها الطاهرة بالظَّفَر المبين.

التفت الشـــاعر إلى نفســـه فهدأ من ارتياعها من استشراء البدعة الشـــنعاء في مِصْره وعَصره، وقد كان زمـــن اختلاط مفاهيمي عقدي شـــديد، ودعاها إلى التزام فقه السنة الغراء، وفي تعريف البدعة من نظر الشرع الإســـلامي الحنيف قال المنظِّر الأصولي المالكي إبراهيم الشاطبي:

"ثبـــت... أن الأحكام المتعلقة بأفعال العباد وأقوالهم ثلاثـــة: حكم يقتضيه معنى الأمـــر; كان للإيجاب أو الندب، وحكم يقتضيه معنى النهي; كان للكراهة أو التحريم، وحكم يقتضيه معنى التخيير; وهو الإباحة. فأفعال العباد وأقوالهم لا تعدو هذه الأقسام الثلاثة: مطلـــوب فعله، ومطلـــوب تركه، ومـــأذون في فعله وتركه.

والمطلـــوب تركه لم يطلب تركـــه إلا لكونه مخالفا للقســـمين الأخيرين، لكنه على ضربين: أحدهما: أن يطلب تركه وينهى عنـــه لكونه مخالفة خاصة مع مجرد النظر عن غير ذلك، وهو إن كان محرما; ســـمي فعلا معصية وإثماً وســـمي فاعله عاصياً وآثماً، وإلا لم يســـم بذلك، ودخل في حكم العفو... ولا يسمى بحســـب الفعل جائزاً ولا مباحاً، لأن الجمع بين الجواز والنهي جمع بين متنافيين.

الطريق إلى مكة

بقلم: د. عثمان أبوزيد

تبقى مكة المكرمة عبر العصور مقصدًا للناس، من أنحاء الأرض، يدفعهم إليها شوق عجيب، ويجدون في الوصول إلى البلد الحرام لذةً وطمأنينةً عميقة.

قال الشيخ علي الطنطاوي في كتابه (من نفحات الحرم): "صدقوني إن كلَّ لذات الدنيا، بطعامها وشرابها ولباسها ومتع شهواتها ومناعم أموالها، لا تبلغ ذرة من اللذة الروحية التي يشعر بها الحاج وهو يلثم الحجر الأسود، الذي لثمه محمد، ومن قبله أبو الأنبياء إبراهيم صلى الله عليهم جميعًا".

كان السفر إلى مكة في الزمان القديم محفوفًا بالمخاطر، وذلك قبل قيام المملكة التي وطَّدت أركان الأمن ونشرت الخير. كان الحجيج يعانون بسبب الحروب واللصوص، زيادة على وسائل الانتقال البدائية ورداءة الطرق.

ينقل الأستاذ أحمد محمد محمود في كتابه رحلات الحج صورًا للمشاق التي عاناها حجاج بيت الله الحرام في ذلك الزمان، فقد كانت رحلات بعضهم تستغرق سنتين أو حتى ثماني سنوات، وهناك حالات أنهى فيها البعض رحلة الحج والعودة منه بعد ثلاثين سنة من بدء الرحلة.

الرعاة من قبيلة (الفُلان) في غرب إفريقيا كانوا يصحبون معهم مواشيهم في رحلة الحج، يعيشون منها طوال رحلتهم، حتى إذا صاروا في آخر مرحلة من الطريق بالسودان باعوا مواشيهم واستأجروا أماكنهم في الزوارق أو السفن التي تحملهم عبر البحر الأحمر.

والطريف أن الموريتانيين كانوا يفعلون ذلك متظاهرين أنهم من الرعاة حتى لا تمنعهم السلطات الاستعمارية التي منعت السفر للحج.

ظلت العلائق المعنوية بين شعوب إفريقيا وبين أرض الحرمين الشريفين أقوى من أن يمنعها مانع، فللشرق سحرٌ وبهاءٌ في وجدان هؤلاء القوم حتى إنهم في نيجيريا يسمون الشرق (قَبَس) وفي بعض أقاليم السودان الغربية مثل دارفور، وفي شرق تشاد يسمونه (دار صباح).

إن قصة طرق الحج على طول هذه الأرض الشاسعة من شاطئ الأطلسي وتخومه في الغرب حتى شاطئ البحر الأحمر في الشرق، ومن أقصى بلاد الصين والسند والهند، لهي قصة الإيمان المضيء، تقدح ناره في قلوب الملايين.

رابطة العالم الإسلامي

MUSLIM WORLD LEAGUE